

الأمة الواحدة
في رحاب البيت الحرام

الأمّة الواحدة
في رحاب
البيت الحرام

محمد مهدي الأصفى

© جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

ISBN 978-614-440-053-1

[٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ]



دار المعارف الكويتية

Dar Al maaref Al hikmah

العنوان: لبنان - بيروت - سان تيريز - سنتر يحفوفي - بلوك c - ط ٣
تلفاكس: ٠٠٩٦١٥٤٦٢١٩١ - email: almaaref@shurouk.org



إن الآراء والاتجاهات والتيارات الوارد الحديث عنها في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن توجهات **دار المعارف** **الحكومية** وإن كانت تقع في سياق اهتماماته المعرفية

فهرس المحتويات

٩ مقدمة الناشر
١١ مقدّمة
١٢ القبلة والطواف
١٥ الإضاءات الثلاث في طريق وحدة الأمة
١٦ أولاً: الأمة الواحدة
١٦ ثانيًا: الصراع الحضاريّ
١٧ ثالثًا: التراشد الثقافيّ
١٩ الخطاب واللقاء والعمل
١٩ أولاً: الوعي والخطاب
٢٠ ووعي الجمهور
٢١ الخطاب الإسلاميّ المعاصر
٢٣ منطلقات الخطاب الدينيّ
٣٠ ثانيًا: الجماعة، واللقاء، والحوار
٣٣ اللقاء والاجتماع
٣٤ (الجماعة) و(الجمعة)
٣٧ مساحات اللقاء والحوار
٣٩ شروط اللقاء والحوار
٤٣ أحاديث أهل البيت (ع) في ضرورة اللقاء والحوار
٤٧ ثالثًا: العمل المشترك
٤٧ جدليّة الشرعيّة والواقع
٤٩ منهج أهل البيت (ع) الفقهيّ
٥١ المشروع السياسيّ الإسلاميّ
٥٣ المرجعيّة السياسيّة للعالم الإسلاميّ
٥٦ في المساحة الاقتصاديّة

مقدمة الناشر

يشهد العالم اليوم كثيرٍ من الاختلافات والانقسامات السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والمذهبية المتصارعة والمتناحرة، ولكن هذا الواقع، لا يحجب شعاعاً من نورٍ ينبثق من أرض شهدت ولادة سيّد الخلق صلى الله عليه وآله وسلّم، فترى الناس كالفراش ينجذبون إليها، إنّها الكعبة المشرّفة، التي ما زالت إلى يومنا هذا محوراً يجتمع في ظلّاتها المسلمون من أقطار العالم كافة؛ غنيّهم وفقيرهم، أبيضهم وأسودهم، وكأنّها صرّة التوحيد الأبديّة التي تربط الدعوة بمركزها، لتشهد بالتوحيد في أزمنة الفراق والتشتت.

الكعبة المشرّفة المقصد الدائم، ومهبط القلوب العامرة بالإيمان، فيها، تُعاد اللوحة إلى ألحها الأوّل، فتصدح الحناجر «لبيك اللهم لبيك»، ويُرسم المشهد من جديد، حجيجٌ عقدوا العزم على زيارة بيت الله الحرام، وشكّلوا ظاهرة تجمّع إنسانيّ سنويّ، لا نجده في أيّ محور من محاور العالم، أتوا ليقولوا كلمتهم وليسقطوا الفوارق والفواصل والفتوات، والوقوف جميعاً في موقف أمام إله واحد لا إله إلا هو.

إنّه البيت الحرام، سبيل السماء وأرض الوحدة في ظلّ الانقسامات الطائفيّة والمذهبيّة والتناحر والتكفير، إنّه وعي الأُمّة ونداء الأخوة بين المسلمين، إنّه صوت الإسلام المحمّديّ الأصيل، الذي يدعو لتلافي وتجاوز جميع الخلافات، فيجعل الإنسان نقيّاً يتقبّل الآخر ويسمع رأيه، عملاً بقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «الناس صنفان إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(١)، الذي أعلن فيه قاعدة

١ | خطب الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة

١، ١٤١٢ هـ/ ١٣٧٠ م، الجزء ٣، الصفحة ٨٤.

الرحمة والتراحم بين جميع البشر مهما كانت جنسياتهم وأشكالهم.

هذا الكتاب الذي بين أيدينا «**الأمة الواحدة في رحاب البيت الحرام**» للشيخ محمد مهدي الآصفي، هو من الكتب الرائدة في مجال تعميق الوحدة الإسلامية. أراد سماحته من خلاله أن يشير إلى محورية الكعبة المشرفة في كونها قبلة يتوجه إليها المسلمون في كل عام؛ ليجددوا عهدهم لله بالوحدة، وليقدموا نموذجاً إنسانياً راقياً للتجمع البشري، الذي يتم رغم كل الاختلافات التي تطرأ على الأمة الإسلامية.

فالكتاب يشير إلى محتوى خطاب الحجّ العالمي والوحدوي، لأنه يمثل باكورة الوعي بالوحدة الجامعة، فالحجّ يتعدى أهميته العبادية، ليتحوّل إلى ضرورة، تستفيد منها الأمة لتقديم صورة مشرقة لهذه الأمة المتضامنة قلباً وقالباً. عبر ما تشكّله من مساحة للتلاقي والحوار الثقافي والسياسي والاجتماعي والمعرفي بين أفراد الأمة بتقديم مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية لإنشاء المشاريع والأعمال المشتركة التي من شأنها أن تنهض بالأمة لتكوين مجتمع متماسك وواحد.

تقع مسؤولية السعي إلى التوحد على جميع أفراد الأمة دون استثناء. فالخطاب الإلهي والديني خطاب أمة وليس خطاب أفراد، فعباسانا نسعى في طريق وضع حجر أساس لاتّحاد هذا المجتمع والترفع عن الخلافات لتكون أمة لاثقة بالرحمة الإلهية.

سكينة أبو حمدان

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ

ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ

وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾^(١).

مشهد الأمة الواحدة وظهورها في الحج واحدة من أعظم منافع الحج ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾^(٢)، ولا نعرف مشهداً للأمة الواحدة أعظم وأروع ممَّا نشأه في الحج.

هنالك يشهد المسلم الأمة الواحدة بكلِّ تجلياتها، من إسقاط الفوارق وملء الفواصل والفجوات والوقوف جميعاً في موقف واحد وفي وقت واحد.

وهذه المشاهد التي تتكرر كلِّ سنة، ويحضرها نخبة من المسلمين من كلِّ فجٍّ عميق... تعتبر أفضل تجسيد للأمة الواحدة، التي تضيع أحياناً وتخفي بسبب تراكم الخلافات المذهبية والوطنية وتراكم المصائب التي تشتت صفَّ المسلمين.

وأوّل ما يتجلّى هذا المشهد التوحيديّ والوحدانيّ العظيم في (الميقات) حيث ينتزعهم الميقات من أزيائهم الوطنية ويلبسهم لباساً موحداً في غاية البساطة، وبعيداً عن مظاهر الترف، ثمَّ يوحد الميقات خطابهم في خطاب ربّانيّ واحد «لِيَبْئُرَ اللَّهُمَّ لِيُبِكَ، لِيُبِكَ لا شريك لك لِيُبِكَ»،

١ | سورة الحج، الآيتان ٢٧ و٢٨.

٢ | سورة الحج، الآية ٢٨.

وهو الخطاب التوحيديّ الّوحدويّ الذي يرفعه الحجاج جميعاً في الميقات... يوحد الميقات خطابهم الذي هو جوهر هذه العبادة وهو (التلبية) ويوحد مظهرهم، وينتزعهم من حالة التشتت في الخطاب، وتمايز المظاهر والأزياء، فيكون الميقات مثل جداول متمايزة من أقاليم شتى، تدخل في الميقات وكأنه نهر عظيم من الحجاج، يقبلون على الله بمظهر واحد، وخطاب واحد، وغاية واحدة، حتّى يصبّ هذا النهر في بحر عظيم من الناس بجوار بيت الله الحرام، لا تكاد تميز فيه العراقيّ عن اليمانيّ، واليمانيّ عن الجزائريّ، والجزائريّ عن الإيرانيّ والتركيّ.

ثم يأتي دور الكعبة في توحيد هذه الأمة وإخراجها إخراجاً واحداً.

القبلة والطواف

وللكعبة المعظمة دوران في توحيد هذه الأمة (القبلة والطواف)، وكلّ واحد من هذين الدورين يوحد جبهة هذه الأمة العظيمة، المتفرقة في بلاد شتى من القارّات الخمسة.

إنّ (القبلة) ترمز في حياة المسلمين إلى أمرين على أعلى درجات الأهميّة. في الأولى، ترمز (القبلة) إلى توجيه وجه الإنسان إلى الله في كلّ حالته، ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾^(٢). فإذا جعل الإنسان (الله) تعالى قبلته، وتوجّه إليه بوجهه، وجعله غاية لحركته، فإنّ هذه النقطة سوف تحدّد له خطّ حركته ومساره في الحياة الدنيا، وهو الصراط المستقيم الذي يهديه إلى الله تعالى، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من عباده: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

وترمز (القبلة) ثانياً إلى توحيد جهة حركة المسلمين جميعاً إلى الله،

١ | سورة الأنعام، الآية ١٧٩ .
٢ | سورة آل عمران، الآية ٢٠ .
٣ | سورة الحمد، الآيتان ٦ و٧ .

بهذا الاتجاه، فإنَّ (القبلة) توحّد وجهة عامّة المسلمين إلى نقطة الكعبة في اليوم خمس مرّات على أقلّ التقادير.

إذن، القبلة ترمز أوّلاً إلى توجيه الإنسان المسلم إلى الله في حركته، على الصراط المستقيم.

وترمز ثانياً إلى توحيد المسلمين عامّة في هذا الاتجاه الربّانيّ في الحركة. وخلاصة القول: إنّ القبلة ترمز إلى الاستقامة على الصراط المستقيم إلى الله تعالى، وتوحيد حركة المسلمين جميعاً على هذا الصراط...

هذا عن القبلة، وأمّا الطواف؛ فهو يرمز إلى حركة التوحيد على وجه الأرض وفي التاريخ. فإنّ هذه الحركة الاستدرايّة حول مركز الكعبة ترمز - والله العالم - إلى الحركة التوحيدية للإنسان فلا ينحرف الطائف عن مركز الكعبة، في كل دائرة الطواف، بكتفه الأيسر على امتداد هذه الدائرة، بينما يتحرّك كتفه الأيمن في كل الاتجاهات، من دون استثناء، والدائرة التي يطويها الكتف الأيمن للطائف ٣٦٠ درجة، وهي دائرة كاملة لا تخرج عنها جهة من الجهات على الإطلاق، وهي إشارة رمزيّة - والله العالم - إلى أنّ بإمكان الإنسان أن يحافظ على توحيد الله بالعبادة، والاستعانة، والطاعة، والعبوديّة في كل حركته الواسعة في الدنيا، في كل حقول الحياة، في حركته، وخطابه، ومواقفه، وعمله، من دون استثناء، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ليس فقط في صلاته ونسكه، وإنّما في محياه ومماته أيضاً.

وفي نفس الوقت، ترمز الكعبة إلى تجميع المسلمين على توحيد الله تعالى في العبادة، والعبوديّة، والاستعانة، والإخلاص، والدين، والطاعة، والولاء، بينما لم يتجاوز في هذه الحركة الشاملة محور الكعبة إطلاقاً.

وهكذا، تتصلّ تجلّيات الأمّة الواحدة في مشاهد الحجّ الكبرى من

الميقات إلى الطواف، ومن الطواف إلى السعي، ومن البيت الحرام إلى عرفة، حيث يجتمع ملايين المسلمين في وادي عرفة، توحدهم عرفة، وتوجههم إلى الله تعالى بالدعاء والصلاة، وتصفيهم من كل ذنوبهم، بلا استثناء إلا الشرك، والقتل، وحقوق الناس، والبدعة في دين الله، فإنها لا تغتفر.

ويفيض الحجاج من عرفة إلى المشعر الحرام، وقد تركوا وراءهم ركام ذنوبهم ومعاصيهم في هذا الوادي الشريف، وطهرهم الله تعالى من ذنوبهم جميعاً.

ثم مشهد المشعر الحرام ومشاهد رمي الجمرات في وادي منى، وهو يرمز إلى جهد جمعي من جانب الحجاج كلهم لإقصاء الشيطان عن حياتهم، ورجمه، وإبعاده منهم.

إن أبرز شيء في هذه الحركة العظيمة من الميقات إلى منى أمران: (توحيد) الله تعالى بالعبادة؛ و(توحيد) حركة الأمة على خط توحيد الله؛ ولا يشعر الإنسان بحضور هذه الأمة المباركة العظيمة، كما يشعر بها في مشاهد الحجّ العظيمة.

وكما يوحد الحجّ خطاب هذه الأمة، وحركتها، ومظهرها، ومضمونها، كذلك يوحد جهد هذه الأمة في مكافحة العوامل المعيقة، لوحدتها، والفتن الطائفية التي تجعل من هذه الأمة الواحدة، أمماً شتى متقاطعة ومتنافرة، على خلاف ما يريد الله تعالى من عباده المؤمنين.

محمد مهدي الأصفى

الإضاءات الثلاث في طريق وحدة الأمة

إنّ مكافحة الفتن الطائفية، والسعي إلى التقريب، والتفاهم، والتضامن، والتعاون بين المسلمين، من ثوابتنا السياسيّة والحضاريّة والاقتصاديّة، وتدخّل في تكوين الأمة الإسلاميّة الواحدة، ومن دونه لا تتحقّق الأمة الواحدة التي جعلها الله أمة وسطاً، وشاهدة على سائر الأمم.



ويتوقّف عليها، انتصارنا في المعترك السياسيّ، والحضاريّ، والثقافيّ، والعسكريّ، ومن دونها لا يتحقّق النصر الذي نسعى إليه في مسيرتنا السياسيّة والثقافيّة. كما وتتوقّف عليها حركتنا الثقافيّة والعلميّة.. فإنّ التقاطع الطائفيّ، والعزلة والانكفاء على الذات، يؤدّي بالضرورة إلى الضمور الثقافيّ والعلميّ، وبالعكس ذلك، التواصل، واللقاء، والحوار الإيجابيّ، يؤدّي إلى التكامل العلميّ والثقافيّ في حوزاتنا وجامعاتنا العلميّة.

إنّ هناك ثلاث قضايا رئيسيّة، لا بدّ فيها من الوعي والوضوح: ولا بدّ من السعي لنشر وعي سياسيّ - ثقافيّ، تجاه هذه النقاط في أوساط الجمهور.

وهذه النقاط هي:

١. الأمة الواحدة.

٢. الصراع الحضاريّ الذي تخوضه هذه الأمة.

٣. ضرورة الترافد الثقافيّ والعلميّ في أوساط هذه الأمة.

وإليك الإيضاح التالي لهذه النقاط الثلاث:

أولاً: الأمة الواحدة

هذه الأمة أمة واحدة، وليست أمماً شتى. وقد ورد هذا المعنى بصراحة في آيتين من القرآن يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١)، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٢).

وليس معنى وحدة الأمة التطابق الكامل في الرأي والاجتهاد، فإن ذلك ممّا لا يكون.. وإنما معنى ذلك الاتفاق والتفاهم على الأصول والانسجام والتفاهم والتعاون على المواقف السياسيّة، وتوحيد الولاء والبراء والطاعة والنصرة.

ثانياً: الصراع الحضاريّ

سواءً أردنا أم لم نرد، نحن ندخل اليوم في صراع حضاريّ عسير... والمواجهة العسكريّة شكل من أشكال التعبير عن هذا الصراع. وهذا الصراع صراع شرس.. وخصومنا في هذا الصرع جبهة واحدة، مهما تعددت توجّهاتهم.

وليس من الصدفة أن تتفق أمريكا والاتّحاد الأوروبيّ على دعم إسرائيل في كل أعمالها العدوانيّة تجاه المسلمين، وأن تقف إلى جانبها من غير أن تأخذ بنظر الاعتبار حاجتها إلى المسلمين، وعلاقتها الاقتصاديّة الواسعة بالعالم الإسلاميّ.

نحن نواجه اليوم صراعاً حضاريّاً، سياسياً، اقتصادياً، عسكريّاً، من أشرس ما يكون الصراع، وإذا خسرنا الحرب في هذه الجولة المصيريّة، فسوف نعود مرّة أخرى إلى دورة جديدة من التبعية الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة للغرب التي طالتنا منذ أكثر من قرن.

والانتصار والهزيمة في هذا الصراع - في كلّ أبعاده - قضية مصيريّة في حضارتنا وتاريخنا؛ ولا نشكّ إنّنا نكسب هذا الصراع إذا واجهنا خصمنا أمة واحدة، وصفاً واحداً، وموقفاً واحداً، وذلك أن يد الله تعالى

مع الجماعة وعلى الجماعة، وإذا كانت يد الله معنا فلا يتخطانا النصر بإذن الله.

ولا نشكُّ أننا إذا واجهنا خصومنا منقسمين على أنفسنا، متقاطعين في مواقفنا وإرادتنا، متخالفين في توجّهاتنا، فلا نكسب هذا المعترك الحضاريّ الصعب.

ثالثاً: الترافد الثقافيّ

الترافد الثقافيّ من نتائج التقريب بين المذاهب الإسلاميّة ومن عوامله في نفس الوقت... وقد كان علماء المسلمين وطلبة العلم يتوافدون على مدارس فقهية من مذاهب واتّجاهات مختلفة، وكانوا يتبادلون الإجازات في رواية الحديث، فكان طلبة العلم من العراق، ومعظمهم من الشيعة يَفِدون إلى الحجاز ومصر والشام ومعظمهم من أهل السُنّة، وكان يَفِد إلى العراق، على مدرسة الحلة، وهي حوزة شيعية عريقة، طلبة من الحجاز، ومصر، والشام، والمغرب العربيّ للدراسة، كما كان لعلماء المسلمين زيارات للأقاليم الإسلاميّة، وكان طلبة العلوم الدينيّة يلتصقون منهم أن يلقوا عليهم دروساً في الفقه والأصولين: أصول الفقه وأصول العقائد.

واليوم تحتضن الحوزة العلميّة في قم، وهي حوزة علمية عريقة تابعة لمدرسة أهل البيت (ع) طلبة العلوم الدينيّة من أكثر من مئة قطر في العالم من القارّات الخمس، وجملة من هؤلاء الطلبة الوافدين إلى هذه الجامعة من أهل السُنّة، ولا يجدون حرجاً في الدراسة في حوزة شيعية، كما لا تجد هذه الحوزة حرجاً أن تحتضن طلبة من المدارس، والاتّجاهات الفقهية الأخرى، وتجري دراسة فقه المذاهب الإسلاميّة الأربعة في هذه الحوزة كما تجري دراسة الفقه الإماميّ.

ولهذا الترافد الثقافيّ والعلميّ أثر بالغ في التكامل العلميّ والثقافيّ في المراكز العلميّة الإسلاميّة. فإنّ الجهود العلميّة، والثقافية المختلفة، عندما تلتقي مع بعض على صعيد موضوعيّ، علميّ، غير متشجّج،

يكون هذا اللقاء سبباً للإثراء والتكامل العلمي والثقافي لكل من هذه الروافد العلميّة والثقافيّة، ويؤدّي هذا الترافد إلى التقارب والتعارف بين المذاهب المختلفة، كما أنّ التقارب والتعارف بين هذه المذاهب يؤدّي بالضرورة إلى الترافد العلمي والثقافيّ.

إنّ ظاهرة الترافد تؤدّي إلى مكافحة وإبطال الفتن الطائفيّة.. والعكس أيضاً صحيح، فإنّ الفتن الطائفيّة تقلّل من فرص الترافد الثقافيّ، وتحول الثقافة والعلم إلى دوائر مغلقة غير مترابطة، وهذه الحالة من أسباب ضمور العلم والمعرفة دائماً.

وعلى كلّ حال، ظاهرة الترافد الثقافيّ ظاهرة مباركة في حياة هذه الأمة، يجب أن نستعيدها، ونجددها، ونشجعها، وندعمها، وهي من أفضل وسائل علاج الفتنة.

الخطاب واللقاء والعمل

وفيما يلي سوف نتحدّث إن شاء الله عن ثلاثة من أبرز النقاط التي تساهم في علاج الفتنة الطائفية وإخمادها، وهذه النقاط الثلاث هي:



١. الوعي والخطاب

٢. الجماعة اللقاء والحوار

٣. العمل المشترك

واليك تفصيل هذه النقاط:

أولاً: الوعي والخطاب

الفتنة الطائفية، كأيّة فتنة أخرى، تنشأ وتتمو في غياهب الجهل والجهالة.. والفتن في حياة الناس كثيرة، وكلّها تتكوّن وتظهر وتتمو في ظلمات الجهل.

وأفضل العلاج لها ولأمثالها من الفتن هو المعرفة والوعي، فإنّ النور يكسح الظلمة، والمعرفة والوعي نور يزيل ما يعترضه من الظلمات، والفتن تراكم من الظلمات بعضها فوق بعض.

الوعي والتقوى

إنّ تحصين المجتمع من الفتن يتم بعاملين اثنين مع بعض، وهما عامل التقوى والمعرفة، فإذا اجتمعا فأنهما يحصّنان المجتمع من أمثال هذه الفتن.

ومهما واجهنا فتنة من هذه الفتن التي تمحق دين الناس، وتثير

الشفب والفوضى، وتحرق الأخضر واليابس، فلا بد أن يكون من وراء هذه الفتنة عجز في (التقوى) أو (الوعي) أو فيهما معاً. فهما يحصنان المجتمع من كل فتنة، ويمنحان صاحبهما بصيرة وفرقانا، إذا ادلهمت الخطوب والظلمات على الناس.

الوعي السياسي

ومن أهم وجوه الوعي اليوم: الوعي السياسي، فإن عامل الاستكبار العالمي، والمخابرات، والمنظمات الجاسوسية العالمية، تكمن خلف هذه الفتنة.

والمؤسسات الإعلامية كالصحف والإذاعات والشبكات العنكبوتية والفضائيات ودور النشر تبث هذه الفتنة بين الناس، وتقوم بتأجيج حرائق الفتنة الطائفية بين المسلمين. وتجد أنظمة الاستكبار العالمي في هذه الفتنة الطائفية، فرصة ذهبية لسط نفوذها في العالم الإسلامي، وتمكنها من أسواق المسلمين، ومصادر الثروة النفطية، والمعدنية، والمائية، والزراعية في العالم الإسلامي... وسوف نسط الحديث في هذا الجانب إن شاء الله.

ويشكل الوعي السياسي الأداة الفضلى لمواجهة هذه الفتنة. كما إنه يمكن الناس من معرفة خلفيات هذه الفتنة وجذورها، والمنظمات الجاسوسية التي تخطط لها هناك في الغرب، عبر المحيطات.

ومن واجب العلماء والخطباء والمثقفين الإسلاميين نشر الوعي السياسي بين الناس، وتمكينهم من اختراق الغطاء الإعلامي، وتمكينهم من الدرك الصحيح لما يحصل في الساحة العالمية من فنون اللعبة السياسية، وتحذير الناس من أن يكونوا ضحايا هذه اللعبة والخطط التي تنتجها باستمرار العقلية الغربية، تجاه العالم الإسلامي.

وعي الجمهور

ولست أعني بـ (الوعي السياسي) هنا وعي النخبة، ولست أنفي

ضرورة الوعي السياسي عند النخبة، وأهميتها، ولكنّ وعي النخبة لا يغني عن وعي الجمهور، وإذا حل الوعي في الشارع الذي يتحرّك فيه الجمهور، وتسليح الجمهور بالوعي، لم تعد هذه اللعب السياسيّة، والفضائيّات المضلّلة قادرة على تضليل الناس، وتفجير الفتن في وسط الناس، كالذي حصل اليوم في العراق وباكستان وفي بعض الأقطار الإسلاميّة.

فإنّ الوعي عندما ينزل إلى مستوى الشارع ويثقف الجمهور يحصّنه من أمثال هذه الفتن... والجمهور الذي يمتلك درجة عالية من الوعي السياسيّ يمتلك درجة عالية من الحصانة تجاه العوامل الإعلاميّة والسياسيّة المضلّلة، وبالضرورة لا تحتوشه الفتن.

والجمهور غير الموجّه، وغير الراشد، هو الوسط الخصب، والتربة الصالحة لأمثال هذه الفتن؛ وعن طريق التوعية، والتثقيف السياسيّ، يمكننا أن نحافظ على سلامة الجمهور ورشده. وهو أيضاً تربة صالحة للفتن والضوضاء، كذلك هو وعاء صالح للوعي، والعقل، والسداد، والتقوى.. ويمتلك أعماقاً سليمة من الفطرة، لم ينفذ إليها الفساد. والقادة الحقيقيّون هم الذين يدركون هذا العمق الفطريّ السليم للجمهور، ويقودون الجمهور إلى صراط الله المستقيم والتقوى، ويحدّرونه من مغبّة الوقوع في أمثال هذه الفتن، ويفلحون في ذلك.

إنّ الثقة بالجمهور، وكفاءاته الكثيرة، وسلامة فطرته، هو رأس مال أولئك القادة الذين يعرفون كيف يخاطبون الجمهور، وكيف يكسبونه.. بعد الثقة بالله تعالى، والاعتماد عليه، والاطمئنان إلى وعده بالنصر، وتأييده للقلة المؤمنة، في مواجهة أمثال هذه الفتن والتحديات.

الخطاب الإسلاميّ المعاصر

ولا بدّ للوعي من خطاب. كما أنّ للتضليل السياسيّ خطاب، ولإثارة الفتنة بين الناس خطاب، ولتفجير الناس، وتجهيلهم، وتسطيح عقولهم خطاب، كذلك للوعي خطاب.

ولغة هذا الخطاب لغة العقل والدين، وهي اللغة المفضّلة في خطاب الوعي... إنّ العاطفة جزء ضروريّ من خطاب الجمهور لا شك في ذلك، ولكن من الخطأ الاقتصار على العاطفة في خطاب الجمهور.. ولا بدّ من استخدام لغة الدين والعقل في خطاب الناس، إلى جانب لغة العاطفة، ولا بدّ أن تكون لغة العقل هي الحاكمة وهي الأصل، ولغة العاطفة تأتي في امتداد لغة العقل، ولإسناد العقل عندئذٍ يكون الخطاب العاطفيّ خطاباً صالحاً للجمهور... وأمّا عندما يتمخض خطاب الجمهور في الخطاب العاطفيّ، فلا يكون مثل هذا الخطاب خطاباً راشداً أميناً غالباً، ولا يكون قادراً على توجيه الجمهور إلى الوجهة الصحيحة...

إنّ مشكلة الخطاب الإسلاميّ المعاصر لدى أصحاب التوجّهات الطائفيّة المعاصرة، هي الحالة العاطفيّة الطاغية على هذا الخطاب والحالة الشعاريّة، ورفض لغة العقل، وحالة الانكفاء على الذات، والانغلاق على الرأي الآخر، ورفض الطرف الآخر، رفضاً مطلقاً إلى حدود التكفير، واستباحة الدماء التي حرّمها الله تعالى إلاّ بحقّها.

وقد يكون استجابة الجمهور أحياناً إلى الخطاب الشعاريّ والعاطفيّ أسرع من استجابتهم للخطاب العقلانيّ الراض للعاطفة.. ولكن يبقى استخدام لغة العاطفة والشعار محضاً وحصراً في خطاب الجمهور، خيانة للجمهور مهما كانت استجابتهم لهذا الخطاب، واستخدام لغة العقل ومحكمات الدين في خطاب الجمهور هو الموقف الناصح الأمين للجمهور، وإن واجهه الجمهور أحياناً بالرفض.

وعلى علماء المسلمين أن يتّقوا الله في الخطاب، ولا يبتغوا مرضاة الناس في ذلك، فقد يكون في الناس من يستجيب للشعار والعاطفة، وقد يكون الخطاب العاطفيّ والشعاريّ أسرع قبولاً في وسط الجمهور.. ولكنّه على كلّ حال خيانة، يجب أن يحذرّها العلماء الراشدون.

والجمهور الذي يتثقف من خلال الخطاب العقلانيّ أكثر ثباتاً وصلابة في الموقف، والجمهور الذي يتلقّى الخطاب العاطفيّ الشعاريّ جمهور

متقلّب في الرأي، لا يثبت على موقف ورأي، ومسؤوليّة هذه الحالة المتقلّبة على عهدة الخطاب العاطفيّ والشعاريّ الذي يتلقّاه هذا الجمهور من حملة الخطاب الطائفيّ المتشجّع.

منطلقات الخطاب الدينيّ

وكما يجب الاهتمام بلغة الخطاب في حياتنا الثقافيّة والسياسيّة المعاصرة، كذلك يجب الاهتمام بمنطلقات الخطاب الإسلاميّ... هناك خطابات سياسيّة وثقافيّة كثيرة معاصرة صادرة من (الولاءات) المنتحلة الوهميّة، كالولاء للقوم، والوطن، والأحزاب، والعشيرة، وهي ولاءات منتحلة كاذبة في مقابل الولاء لله، ولرسوله، ولأئمّة المسلمين وللمؤمنين، وهو الولاء الراشد الصحيح الذي جاء به الوحي من عند الله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١) ...

وهذا هو الولاء الحقّ الذي جاء به رسول الله (ص) من عند الله، وهو الولاء الذي يوحد صفّ المسلمين، ويجعل منهم أمة واحدة في صفّ مرصوص، مقابل أعداء هذه الأمة.

وللقضاء على هذا الولاء، بادر أعداء هذا الدين إلى طرح ولاءات أخرى، وعملوا من خلال هذه الثقافات على زرع ولاءات وهميّة، قوميّة، ووطنية، في مقابل الولاء لله، ولرسوله، ولأولياء الأمور، وللمؤمنين، كالولاء للقوم والوطن، وبذلوا أموالاً طائلة لتثبيت هذه الولاءات في ثقافة المسلمين المعاصرة، من خلال المدرسة، والصحافة، والإذاعة، والتلفاز، وإحياء المآثر الفرعونية والبابلية والكسروية والفينيقية.. إلى غير ذلك.

ونحن عندما نتحدّث عن الخطاب السياسيّ الذي تلقّيه إلى جمهورنا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار منطلقات هذا الخطاب... هذا الخطاب يجب أن ينطلق عن الولاء لله ولرسوله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

وَرُسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢). كذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٣)، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٤).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٥)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَأُ وَتَصَرَّوْا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٩).

أمة واحدة، وطاعة واحدة، وولاء واحد.

إنَّ لكلَّ ولاء خطاب، وخطاب كلِّ ولاء يختلف عن الخطاب الآخر، ونحن ولاؤنا لله ولرسوله ولأولياء الأمر وللمؤمنين وليس للوطن والقوم.. ولهذا، يختلف الولاء كخطاب عن الولاء للقوم والوطن. ولسنا نرفض الارتباط بالقوم والوطن والاعتزاز بهما إلا أنَّ هذا الارتباط من الانتماء وليس من الولاء، والولاء يحكم الانتماء.. فقد حارب المسلمون صير الإسلام أهلهم وآباءهم وإخوانهم الذين كانوا ينتمون إليهم من مكة في الله.

وخطابنا إلى جمهور أمتنا - في السراء والضراء - يجب أن ينطلق من هذا المصدر، وهو الخطاب الذي يجمع الشمل، ويزرع المحبة والمودة في القلوب، ويؤسس التفاهم والتعاون في الأفكار والأعمال.

١	سورة المائدة، الآية ٥٥.
٢	سورة الأنبياء، الآية ٩٢.
٣	سورة المؤمنون، الآية ٥٢.
٤	سورة آل عمران، الآية ١٠٣.
٥	سورة التوبة، الآية ٧١.
٦	سورة الحجرات، الآية ١٠.
٧	سورة الأنفال، الآية ٤٦.
٨	سورة النساء، الآية ٥٩.
٩	سورة الأنفال، الآية ٧٢.

الصدق والنصح في الخطاب

يجب أن يكون الخطاب صادقاً ناصحاً.. وفي خطابنا المذهبيّ الطائفيّ المعاصر الكثير من الكذب والافتراء.. ومن يقرأ بعض أدبيّات الفتنة الطائفيّة المعاصرة، يجد نماذج كثيرة من هذا الافتراء والكذب، ومن أمثلة هذا الافتراء: الافتراء على الشيعة الإماميّة بأنّهم يقولون بتحريف القرآن، وهم ينفون عن أنفسهم هذه التهمة، ويصرّحون ويكتبون عن صيانة القرآن عن التحريف.

ولو أنّك سبرت بلاد المسلمين في كلّ العالم لا تجد غير هذا القرآن قرأناً يتلوه الناس، ويتعبّدون به في مشارق الأرض ومغاربها من كلّ المذاهب.

وكم يتبادل المسلمون من المذاهب المختلفة، الافتراءات فيما بينهم من غير هدى ولا بينة. ولا يقتصر أمر هذه الافتراءات فيما بين الشيعة والسنة، وإنّما يتمّ بين الشيعة أنفسهم، والسنة أنفسهم بما لا يقلّ عما يجري بين الشيعة والسنة...

وهذا الخطاب الطائفيّ الاستفزازيّ، ينقصه الصدق والنصح.. ينقصه الصدق، لأنّ علماء المسلمين من جميع المذاهب يكتبون ويعلنون ويصرّحون أن ليس لله على وجه الأرض كلّها قرآن غير هذا القرآن، الذي يتلوه المسلمون صباحاً ومساءً.

وينقصه النصح، لأنّ المسلم الذي يهّمه أمر وحدة المسلمين وانسجامهم، والذي يأمر الله تعالى به ورسوله لا ينال مذاهب المسلمين بهذا اللون القاسي من الجرح والتشهير والتسقيط، من دون تثبيت علمي، بل مع إعلانهم البراءة عمّا ينسب إليهم من الافتراء.

الشجاعة والصراحة في الخطاب

إنّ مواجهة ظروف الفتنة الطائفيّة اليوم تستدعي شجاعة وصراحة في الخطاب وما لم يمتلك حَمَلَةُ الخطاب الإسلاميّ هذه الشجاعة والصراحة لا يتمكنون من مواجهة الفتنة الطائفيّة المعاصرة

واستتصالها.

إنَّ الحالة التكريهية المعاصرة، واستباحة دماء المسلمين بغير الحقِّ، عودة للحالة الخارجية التي ظهرت صدر الإسلام في حرب صفين والنهروان في أيام خلافة أمير المؤمنين (ع)، وولادة جديدة لنفس الحالة.

وهذه الحالة آخذة بالتوسُّع والنفوذ إلى داخل الحركة الإسلاميَّة المعاصرة.. ولا بدَّ أن يمتلك تجاه هذه الحالة، علماء المسلمين الجرأة، والشجاعة، والصراحة الكافية في بيان موقف الإسلام من هذه الجماعة، ومن هذه الحالة التي تُعدُّ انزلاقاً خطيراً للحركة الإسلاميَّة المعاصرة.

والتردد والتريث في مثل هذا البيان والخطاب، يؤدِّي إلى استئراء هذه الحالة وتوسُّعها، وإلى حدوث انزلاقات خطيرة في الحركة الإسلاميَّة المعاصرة بهذا الاتجاه.

وقد حرَّم الإسلام دم المسلم وماله إذا كان يشهد بالتوحيد لله والنبوة لرسول الله قولاً واحداً بين فقهاء المسلمين.

روى مسلم في الصحيح في فضائل علي (ع): عندما دعا رسول الله (ص) علياً في فتح خيبر فأعطاه الراية وقال له: «امش ولا تلتفت حتَّى يفتح الله عليك، قال: فسار علي (ع) شبيهاً ثمَّ وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتَّى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم»^(١).

وفي الصحيحين بالإسناد إلى مقداد بن عمرو: أنَّه قال: يا رسول الله رأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتلنا فاضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثمَّ لاذ منِّي بشجرة، فقال: أسلمت لله، فأقتله يا رسول الله بعد أن قالها، فقال رسول الله (ص): «لا تقتله، فإن قتلته فإنَّه

بمنزلك قبل أن تقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»^(١).
وأخرج البخاري في باب بعث علي (ع) وخالد إلى اليمن: أن رجلاً
قام، فقال: يا رسول الله: اتق الله، فقال (ص): «ويلك أأست أحق أهل
الأرض أن يتقي الله»، فقال خالد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال
(ص): «لا، لعله أن يكون يصلي»^(٢).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): «أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»^(٣).

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: «الإسلام يُحقن به الدم»^(٤).

وعنه (ع) أنه قال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول
الله (ص)، به حُقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث»^(٥).

وعن رسول الله (ص) أنه قال: «من وحّد الله وكفر بما يعبد من دونه
حرّم ماله ودمه وحسابه على الله»^(٦).

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) أيضاً عن رسول الله (ص) أنه قال: «أيّها
الناس إنني أمرت أن أقاتلكم حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّي محمّد
رسول الله، فإذا فعلتم ذلك حقنتم بها أموالكم ودماءكم إلا بحقها وكان
حسابكم على الله»^(٧).

وروى الدارمي عن رسول الله (ص) أنه قال: «إنني أمرت أن أقاتل
الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت عليّ دماءهم

١ | البخاري، صحيح البخاري (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١)، الجزء ٥، الصفحة ٢٠.

٢ | السيّد شرف الدين، النّص والاجتهاد (قم: سيد الشهداء عليه السلام، الطبعة ١، ١٤٠٤ هـ)، الصفحة ١١٣. صحيح البخاري، مصدر سابق، الجزء ٥، الصفحة ٢٠٧.

٣ | العلامة المجلسي، بحار الأنوار (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة ٢ المصحّحة، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م)، الجزء ٦٥، الصفحة ٢٤٢.

٤ | المصدر نفسه، الجزء ٦٥، الصفحة ٢٤٣.

٥ | الكليني، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، الطبعة ٣، ١٣٦٧ هـ. ش)، الجزء ٢، الصفحة ٢٥.

٦ | الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل (بيروت: دار صادر، لا تاريخ)، الجزء ٣، الصفحة ٤٧٢.

٧ | بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٦٥، الصفحة ٢٨٢.

وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على الله»^(١).

عن أبي سعيد الخدري قال: وجد قتيل على عهد رسول الله (ص)، فخرج مغضباً حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يقتل رجل من المسلمين لا يُدرى من قتله، والذي نفسي بيده لو أنّ أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار»^(٢).

وروى مسلم في (الصحيح) روايتين عن رسول الله (ص) نعرف منهما عظيم حرمة «لا إله إلا الله» وحرمة القاتل بها، ولو كان القاتل بها قد تظاهر بها ليحامي نفسه من القتل، وأنّ هذه الكلمة تعطي قاتلها وحاملها من الحرمة ما لا يجوز لأحد انتهاكها إلا بحقه.

روى مسلم أنّ رسول الله (ص) بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وأنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإنّ رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدّث أنّه أسامة بن زيد، فلمّا رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبيّ (ص)، فسأله فأخبره، حتّى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله قال: لِمَ قتلته؟ قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وائي حملت عليه فلمّا رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله (ص): أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: فجعل لا يزيد على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»^(٣).

وروى مسلم أيضاً عن أسامة بن زيد أنّه قال: «بعثنا رسول الله (ص) في سرية فصبحنا الحرقات»^(٤) من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله

١ | عبد الله بن بهرام الدارمي، سنن الدارمي (دمشق: المطبعة الحديثة، ١٣٤٩ هـ)، الجزء ٢، الصفحة ٢١٨.

٢ | بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٧٢، الصفحة ١٥٠.

٣ | صحيح مسلم، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٦٨.

٤ | الحرقات بضمّ المهملة والراء وقاف بعدها من جهينة، هم بنو حميس بن عمرو بن ثعلبة

إلا الله، فطمعته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي (ص) فقال رسول الله (ص): أقال لا إله إلا الله وقتلته! قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أنّي أسلمت يومئذٍ^(١).

ورغم أنّ القتل كان مقاتلاً يقاتل المسلمين في صفوف الكافرين حتى اللحظة الأخيرة، ونطق بكلمة التوحيد في اللحظة الأخيرة عندما وجد السيف على رأسه، وواضح من كل القرائن أنّ الرجل شهد بلا إله إلا الله خوفاً من القتل، وليس عن إيمان، كما قال أسامة بن زيد... إلا أنّ رسول الله (ص) غضب غضباً واضحاً، وأنكر على أسامة بشدة وقوة، وكرّر إنكاره على أسامة حتى تمنى أسامة أن يكون قد أسلم في ذلك اليوم، حتى يكون الإسلام قد جبّ من ذنوبه ما سبق.

خطبة رسول الله (ص) بمنى

وهذه الخطبة ألقاها رسول الله (ص) في جموع المسلمين الغفيرة بيوم النحر بمنى، وقد روى هذه الخطبة ثقة المحدثين بألفاظ متقاربة، ونحن ننقل الخطبة برواية الإمام أبي عبد الله الصادق (ع)، ويغنيها اشتها رواتها بين حفاظ الحديث النبوي عن ذكر مصادرها: عن زيد الشحام عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: «إن رسول الله (ص) وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم، واعقلوه عني، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا، ثم قال: أي يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا هذا الشهر، قال: فأيّ بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقونه فيسألکم عن أعمالکم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم أشهد، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، فإنه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم، ولا

بن مودوعة بن جهينة، كما في جمهرة ابن حزم، الصفحة ٤٤٦.

١ | صحيح مسلم، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٦٧.

ترجعوا بعدي كَفَارًا»^(١).

ثانياً: الجماعة، واللقاء، والحوار

هذه ثلاثة عناوين يحبّها الله تعالى، وهي أساس التقريب والتفاهم وجمع الشمل وهي: (الجماعة) و(الاجتماع واللقاء) و(الحوار والتفاهم).

وهذه الثلاثة هي الأدوات المفضّلة في دين الله لمكافحة الفتن الطائفية، وإزالة التقاطعات، والوصول إلى الانسجام والتفاهم والتعاون.

وسوف نشرح هذه الثلاثة، ونقف وقفات قصيرة عند كل واحد منها:

الجماعة (الأمّة)

نقصد بالجماعة: الأمّة الإسلامية الواحدة، وتتميز هذه الأمّة من سائر الأمم في العقيدة والشريعة والرسالة، ورسالتها التعاون والتضامن الاجتماعي على أداء هذه الرسالة، والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢).

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٤).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ

١ | الكافي، مصدر سابق، الجزء ٧، الصفحة ٢٧٣.

٢ | سورة يوسف، الآية ١٠٨.

٣ | سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

٤ | سورة آل عمران، الآية ١١٠.

سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

هؤلاء، جماعة هذه الأمة، يحملون همًا واحدًا، ومسؤولية واحدة، هي الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم أسرة واحدة، متعاونة ومتفاهمة ومتعاطفة ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وهم يؤمنون جميعًا بالله ورسوله، ويطيعون الله ورسوله؛ فإن الدعوة إلى الله ورسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يكون إلا مع الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسوله.

إذن، هذه الجماعة تحمل ثلاث خصال:

١. الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله ورسوله.

٢. الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة.

٣. التفاهم والتعاون والتعاقد والتواصي بالحق والصبر فيما بينهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٢).

وعليه، فإن مفهوم (الجماعة) بهذا التوضيح يلتقي مفهوم (الأمة)، ويتحد معه. وهذه الأمة بعرضها العريض أمة واحدة، وليست أممًا شتى، لا ريب في ذلك؛ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(٣)، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٤).

أمة واحدة، لها عقيدة واحدة، وشريعة واحدة، ومنهاجًا واحدًا، ودعوة واحدة، وسبيل واحد، ورسالة واحدة، يؤدونها مجتمعين وولاء واحد وبراءة واحدة.

وهذه الوحدة والاجتماع في الأداء، وتحمل المسؤولية، والوحدة في الولاء والبراءة وفي العقيدة والشريعة والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي التي تجعل من هذه الأمة جماعة واحدة. وقد ورد التأكيد على هذا الاجتماع، والوحدة في الأداء، والوحدة

١ | سورة التوبة، الآية ٧١.

٢ | سورة العصر، الآية ٣.

٣ | سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

٤ | سورة المؤمنون، الآية ٥٢.

في الموقف والعمل في آيات عديدة من القرآن، منها قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ وهذه الآية الكريمة تحمل معنيين:

المعنى الأوّل هو الاعتصام بحبل الله، وأن يكون هذا الاعتصام من قبل الجميع (جميعاً) هو المعنى الثاني.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾^(١)، وهذه الآية الكريمة كذلك تحمل معنيين:

١. الدخول في السلم.

٢. وأن يكون هذا الدخول من قبل الجميع، (كافّة).

وقد ورد التأكيد في أحاديث كثيرة متضافرة على لزوم الجماعة، منها ما رواه الفريقان عن رسول الله (ص) في الخطبة التي خطبها في مسجد (الخييف) بمنى عام حجّة الوداع، وإليك هذا الخطاب النبوي الشريف: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمّة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواه، يسعى بذمتهم أدناهم»^(٢).

وهذا خطاب شريف يتضمّن ثلاث دعوات، وآية دعوات؟

١. الإخلاص في العلاقة بالله.

٢. والنصيحة في العلاقة بأنمّة المسلمين وأولياء الأمر.

٣. واللزوم لجماعة المسلمين في العلاقة بالأئمّة.

كما أنّ سلامة الفرد والمجتمع بسلامة هذه العلاقات الثلاث:

١. العلاقة بالله.

١ | سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

٢ | الكافي، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٤٠٣.

٢. والعلاقة بأئمة المسلمين.

٣. والعلاقة بجماعة المسلمين.

فإذا سلمت علاقة الفرد بهذه المحاور الثلاثة، يسلم الفرد، وتسلم الأمة.

اللقاء والاجتماع

ورد في النصوص الإسلامية التأكيد على اللقاء والاجتماع والنهي عن الاختلاف والتفريق والتقاطع داخل الجماعة المسلمة، والنهي عن الخروج عن جماعة هذه الأمة والشذوذ عنها.

عن رسول الله (ص): «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة»^(١).

وعنه (ص): «اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله مع الجماعة، ولم يجمع الله أمّتي إلا على هدى، واعلموا أنَّ كلَّ شيطان (البعيد من الحقِّ) هوى في النار»^(٢).

وعنه أيضاً (ص): «لا يجمع الله عزَّ وجلَّ أمر أمّتي على ضلالة أبداً، اتبعوا السواد الأعظم، من شدَّ في النار»^(٣).

وعن أمير المؤمنين (ع): «الزموا السواد الأعظم، فإنَّ يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإنَّ الشاذَّ من الناس للشيطان، كما أنَّ الشاذَّ من الغنم للذئب، فلا تكونوا أنصاف الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة»^(٤).

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «إنَّ قومًا جلسوا عن حضور

١ | محمّد الريشهري، ميزان الحكمة (دار الحديث، الطبعة ١، ١٤١٦هـ)، الجزء ١، الصفحة ٤٠٦.

٢ | المتقي الهندي، كنز العمال (لبنان - بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)، الجزء ١، الصفحة ٢٠٥.

٣ | ميزان الحكمة، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٤٠٦.

٤ | خطب الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة ١، ١٤١٢ هـ / ١٣٧٠ هـ.ش)، الجزء ٢، الصفحة ٨، الخطبة ١٢٧.

الجماعة، فهم رسول الله (ص) أن يشعل النار في دورهم حتى خرجوا وحضروا الجماعة مع المسلمين»^(١).

وقد جعل الله تعالى في لقاء المؤمنين رحمة وبركة وخيراً كثيراً، وجعل اللقاء والحوار من منازل رحمته وبركاته... كما أن الشيطان يجعل من التباعد سبباً للنفور والقطيعة والخلاف.

واللقاء لا يتم من غير حوار عادة، فهما متلازمان من ناحية اللقاء، وقد رأينا بركات كثيرة في اللقاءات الأخيرة المعاصرة التي تمت في إيران بعد قيام نظام الجمهوريّة الإسلاميّة... بين المذاهب الإسلاميّة فقد كانت هذه اللقاءات مصدر خير كثير في حياة هذه الأمة، تعارف خلالها بعضهم على بعض، وتحابوا، ووجدوا فرصاً واسعة للتفاهم والتعاون، لم يكونوا يعرفوها من قبل... في هذه اللقاءات، ارتفع كثير من اللبس والغموض الذي كان ينظر من خلاله بعضهم إلى بعض من قبل، واكتشفوا مساحات مشتركة واسعة جداً في الفكر والثقافة والمعرفة، كانوا يعدّونها من قبل ممّا ينفرد بها بعضهم عن بعض.

(الجماعة) و(الجمعة)

إنّ اجتماع المؤمنين واللقاء بينهم أمر يحبه الله تعالى، وما يحبه الله يجعل فيه البركة والخير، ويجعله من منازل رحمته، ليس في ذلك شك.

وهذا اللقاء، وما يستتبعه من الحوار يدخل في صلب التشريع.. فقد شرّع الله في هذا الدين للمسلمين (الجماعة) و(الجمعة) و(الحجّ).. ويدخل في (الجمعة) صلاة العيدين الفطر والأضحى.

وهذه الثلاثة (الجماعة، والجمعة، والحجّ) تجمّعات إسلاميّة ثلاثة تجمع المسلمين من مختلف الأقاليم والقوميّات والمذاهب والاتّجاهات والاجتهادات.. في ثلاث دوائر، بعضها في بعض الجماعة والجمعة

١ | الميرزا النوري، مستدرك الوسائل (لبنان- بيروت: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) الجزء ٦، الصفحة ٤٥١.

والحجّ.

ولا شكّ أنّ الحالة العباديّة والذكر في الصلاة والحجّ جزء لا يتجزأ من هذه الثلاثة... إلا أنّ حالة اللقاء والاجتماع أمر مقصود في هذه التشريعات الثلاثة من دون شكّ.

ورغم أنّ الإنسان يُقبل على صلاته في الخلوات أكثر من الإقبال عليها في الاجتماعات... مع ذلك كلّ، يفضّل الإسلام إقامة الفرائض اليوميّة جماعة على الصلاة بالانفراد، وذلك نظراً لأهميّة التقاء المؤمنين وتواجههم في ساحة واحدة.

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أنّ رسول الله (ص) هدّد أقواماً كانوا مقاطعين لصلاة الجماعة في المدينة بأن يحرق بيوتهم، كما في الرواية.

روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن الصادق (ع): أنّ أناساً كانوا على عهد رسول الله (ص) ابطأوا عن الصلاة في المسجد، فقال رسول الله (ص): «ليوشك قوم يدعون للصلاة [يَدْعُونَ الصَّلَاةَ] في المسجد أن نامر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم النار فنحرق عليهم بيوتهم»^(١).

وكذلك الاهتمام بأمر (الجمعة) في الإسلام وتحشيد المؤمنين من كلّ منطقة في جامع عامّ لإقامة الجمعة، وقد روي عن الإمام الباقر (ع): «صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض، من غير علة إلا منافق»^(٢).

واجتماع الحجّ هو الاجتماع الأوسع للأمة كلّها، تجتمع في موعد واحد ومكان واحد، لإقامة هذه الفريضة، وهو أوسع اجتماع يعرفه الناس على وجه الأرض.. يقيمه المسلمون في كل عام تلبيةً لأذان أبيهم أبي الأنبياء إبراهيم (ع) ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ

١ | ميزان الحكمة، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١٦٤٨.

٢ | المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ١٦٥٨.

يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١﴾. فالجماعة والجمعة تجمعان كل الشرائح والمذاهب.

وقد حرص الإسلام أن يحضر المسلمون كلهم هذه الاجتماعات الثلاثة لأداء الفريضة اليومية وصلاة الجمعة وفريضة الحج مجتمعين. وكان أئمة أهل البيت (ع) يؤكدون لشيعتهم حضور الجماعات والجمعات لأهل السنة. فعن الإمام الصادق (ع): «إذا صليت معهم غُفِرَ بعدد من خلفك»^(٢).

وذلك أن الأحناف من أهل السنة يلغون البسمة في القراءة، على خلاف مذهب أهل البيت (ع) في اعتبار البسمة جزءاً من كل سورة، إلا سورة التوبة.

ويشكو أحد الرواة إلى الإمام الصادق (ع) حاله في حضور صلوات جماعة أهل السنة يقول: إن لنا إماماً مخالفاً، وهو يبغض أصحابنا كلهم، فقال (ع): «ما عليك من قوله، والله لئن كنت صادقاً لأنت أحق بالمسجد منه، فكن أنت أول داخل وآخر خارج، وأحسن خلقك مع الناس، وقل خيراً»^(٣).

ويقول الإمام الصادق لإسحاق بن عمّار: «يا إسحاق أتصلي معهم في المسجد؟ قال: قلت نعم، قال: صل معهم فإن المصلي معهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله»^(٤).

إن من الضروريّ تعبئة الجماعات والجمعات لإشاعة ثقافة الحوار واللقاء والتفاهم وكسر الحواجز الطائفية والمذهبية وإزالتها. كذلك أن يكون خطاب أئمة الجماعات والجماعات، خطاباً تقريبياً، وحدوياً، توحيدياً، يكسب كل الفرق والطوائف الإسلامية، ولا يفرقهم ولا يُنفرهم. ومن الضروريّ تعبئة الحجّ بالحوار الهادف الموجه بين

١ | سورة الحج، الآية ٢٧.

٢ | الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة ٢، ١٤٠٤ هـ) الجزء ١، الصفحة ٥٦٨.

٣ | الحرّ العاملي، وسائل الشريعة (لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي)، الجزء ٨، الصفحة ٣٠١.

٤ | المصدر نفسه.

المسلمين في شؤونهم السياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة.

مساحات اللقاء والحوار

أهمّ مساحات اللقاء والحوار، هي المساحة الثقافيّة، والمعرفيّة، والمساحة السياسيّة، والمساحة الاقتصاديّة، والاختلاط العائليّ بالتزاوج والمصاهرة.

١ - المساحة الثقافيّة والمعرفيّة

اللقاء، والحوار الموجه في شؤون الثقافة والمعرفة، يؤدّي إلى تقريب وجهات النظر من المذاهب الإسلاميّة في شؤون المعرفة والعلم، كالفقه وأصول الفقه والكلام والتفسير. ويؤدّي إلى اكتشاف مساحات مشتركة بين المذاهب الإسلاميّة في مختلف أبواب المعرفة، ويتبين لهم أنّ مساحة الخلاف في ما بين المذاهب الإسلاميّة في هذه محدودة ومساحة اللقاء هي المساحة الأوسع. كما يؤدّي إلى التكامل والتلاقح العمليّ لدى الجميع.

وقد كانت هذه الطريقة مألوفة لدى العلماء، وطلبة العلوم من المذاهب الإسلاميّة المختلفة، في التردّد على المدارس، والحوارات العلميّة المختلفة لتلقّي العلم، رغم اختلاف المذاهب.. وكان لهذا التراقد العلميّ والثقافيّ أثر كبير في إثراء المعرفة والثقافة الإسلاميّة، وتكامل العلوم والمعارف لدى المسلمين.

٢ - المساحة السياسيّة

المساحة السياسيّة مساحة واسعة... وهذه المساحة اليوم أصبحت مساحة لهواة السياسة، والانتهازيين، واللاعبين الدوليين في السياسة، وأنّ للسياسة لاعبين، يلعبون في هذه المساحة كما يلعب اللاعبون من هواة الشعبذة والمسرح.. وقيسون العمل السياسيّ ويفهمونه وقيّمونه بنفس المقاييس التي يفهم فيها الناس ألعاب التمثيل السينمائيّ.. يكذبون ويكذبون حتّى يصدقهم الناس، ويستخدمون

بيوت أموال المسلمين بسخاء لكسب آراء الناس، ويبتلون الحقائق، ويحققون الزيف والكذب والباطل، بأدوات الكذب والتضليل والتغريب. وللأسف إنَّ المساحة السياسيّة في العالم اليوم تحكمها غالباً هذه العصابات، إلا ما ندر وشذّ، ولا نطيل في هذا الحديث، وسوف يطول موقفنا بين يدي الله تعالى يوم السّؤال الأكبر والمحاسبة الكبرى ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١) تجاه هذه القضية.

فقد عرف الناس الظالمين، وسكتوا عنهم، وجاوروهم وتعاونهم معهم، ولم يحرّكوا ساكناً، ولم يزعجهم بموقف أو كلمة، وتركوهم يمرحون ويلعبون بمصالح هذه الأمّة وقضاياها الكبرى، وينهبون ثرواتها، ويمكنون أنظمة الاستكبار العالميّ من بلاد المسلمين، إلا القليل النادر، الذين نهضوا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجابهوهم بكلمة الحقّ، وكسروا كبريائهم وأذلّوا غرورهم.. وهؤلاء قلة في هذه الأمّة، ولكنها قلة مباركة.

والسبيل الوحيد إلى طرد هذه العصابات السياسيّة الانتهازية من الساحة الإسلاميّة السياسيّة هو حضور جمهور المسلمين في هذه الساحة، حضوراً موحّداً بالإيمان والوعي والعطاء.

إنَّ حضور الجمهور في الساحة يغيّب هذه العصابات، ويسلب منهم الأضواء التي يتألّقون بها، وتكشفهم وتعريهم. وهذا الحضور عبادة، بمستوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه يطرّد حملة المنكر من الساحة، ويفتح المجال للمعروف والعاملين به. كما أنّ الصلاة والصيام عبادة، وهو من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. شريطة أن يكون هذا الحضور عن وعي وبصيرة، وليس حضوراً غوغائياً انفعالياً، وبشرط أن يحمل هذا الحضور خصلة المقاومة والعطاء، وليس حضوراً واهياً ضعيفاً انفعالياً، تفرّقه طلاقات من الرصاص والغازات المسيلة للدموع. وبشرط أن يكون هذا الحضور حضوراً وحدوياً، تتجسّد فيه وحدة الصّفّ.

ويتمّ الحوار فيه على أساس مصلحة الإسلام الكبرى، ويتعامل الجمهور في هذه الساحة من منطلق (الأمة الواحدة)، ويتفقون فيها على موقف واحد ورأي واحد.

إنّ مثل هذا الحضور واللقاء والحوار عندما يعمّ الساحة الإسلاميّة، وينتشر في العواصم والحوضر والمراكز الإسلاميّة، يكون له دور كبير في توجيه قضايانا السياسيّة... إنّ هذا الحضور الواحد الشامل سوف يُعدّل كثيراً من قرارات الأنظمة السياسيّة الكبرى، مثل قرار (التطبيع)، وتبادل السلام بالأرض في فلسطين، والموقف من الاحتلال الأمريكيّ للعراق وأفغانستان والموقف من المسألة النوويّة الإيرانيّة، والموقف السلبيّ من (حماس) في امتداد الموقف الأميركيّ الأوروبيّ. الإسرائيليّ، والموقف من التأييد الأميركيّ لإسرائيل والرفض الأميركيّ للمقاومة الإسلاميّة في لبنان وفلسطين (حزب الله وحماس والجهاد)، وضرورة التفكيك بين (المقاومة) و(الإرهاب)، واحترام الأوّل وتبنيّه، ونبذ الثاني ورفضه...

إنّ مثل هذا اللقاء والحوار في الساحة الإسلاميّة العريضة من أهمّ ضرورات المرحلة، شريطة أن نحصّن هذا اللقاء والحوار من نفوذ الأنظمة واختراقاتها، فإنّ الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلاميّ، تملك من وسائل إختراق الساحة ما يهدّد وحدة الساحة ووعيتها، ويؤدّي إلى تفريقها وتضليلها، وقد شاهدنا في حياتنا السياسيّة المعاصرة نماذج كثيرة من هذا الإختراق والتضليل والتجهيل والتفريق.

شروط اللقاء والحوار

ولكي يكون هذا اللقاء والحوار نافعين يجب أن يتوفّر فيهما الشروط التالية:

١ - تقديم مصلحة الإسلام العليا..

فقد تتدافع الأطراف الإسلاميّة فيما بينها، ولا يصلون إلى قناعة مشتركة، عند ذلك يجب عليهم أن يقدّموا المصلحة الإسلاميّة العليا

على كلِّ مصلحة.. وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قدوة لكلِّ المسلمين في ذلك.. يقول (ع) فيما جرى عليه من بعد رسول الله (ص) في تقديم الآخرين عليه في أمر الولاية والخلافة، حرمانه من حقِّه في هذا الأمر: «فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر ببالي أنَّ العرب تُزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن أهل بيته، ولا أنَّهم مُنحَوهُ عني من بعده، فما راعني إلاَّ انشغال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي (عن البيعة)، حتَّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدْعُون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إنَّ لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدمًا، تكون المصيبة بها عليَّ أعظم من فوت ولايتكم»^(١).

٢ - حسن الظنِّ في التعامل والحوار

إنَّ سوء الظنِّ إذا استولى على الناس في علاقة بعضهم ببعض أفسد اللقاء، وكانت نتائج اللقاء سلبية.. وإنَّ سوء الظنِّ آفة كلِّ لقاء وحوار وعمل مشترك... وقد نهانا الله تعالى عن سوء الظنِّ في دائرة العلاقات التي تربط المسلمين بعضهم ببعض: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٢). إذ إنَّ تعاطي سوء الظنِّ في العلاقة يفسد العلاقة ويلغيها.

٣ - العقلانيَّة في اللقاء والحوار

عندما نكون في منعطف تاريخيِّ حسّاس، كالمنعطف الذي تعيشه الأمة الإسلاميَّة اليوم. وعندما تكون الأمة الإسلاميَّة ناهضة، وتخوض صراعًا مريرًا في مواجهة الأنظمة المرتبطة بعجلة الاستكبار العالميِّ وأنظمة الاستكبار العالميِّ التي تقف خلف هذه الأنظمة. وعندما تُحشد أنظمة الاستكبار العالميِّ كلِّ إمكاناتها لمواجهة التيّار الإسلاميِّ العظيم، الذي يعمُّ كلِّ العالم الإسلاميِّ، وكان الموقف بيننا وبين الاستكبار العالميِّ موقفًا تاريخيًّا مصيريًّا فاصلاً...

١ | نهج البلاغة، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ١٢٠.

٢ | سورة الحجرات، الآية ١٢.

أقول عند ذلك: إنَّ من أفذح الأخطاء في ظروف صعبة وعسيرة مثل هذه الظروف، أن تغلب العاطفة والانفعال والشعار على مواقفنا السياسيَّة، ولقاءاتنا، وخطابنا لجماهيرنا، وحواراتنا المتبادلة داخل البيت الإسلاميِّ الكبير.

إنَّ لغة العاطفة والانفعال والشعار، كما هو نافع في إثارة الهمم وإنهاض الجمهور، يُمكن أن يتحوَّل في بعض الحالات إلى ألغام سريعة الانفجار تُحوِّل الساحة إلى ساحات للسجال والجدال العقيم الضار.

وتنمَّي، لو أنَّ طرفاً أو جهة أو شخصاً أراد أن يستخدم هذه اللغة في إثارة التشنُّج في صفوف المسلمين، ويعكِّر صفو العلاقات الإسلاميَّة داخل الصفِّ الإسلاميِّ... من أيِّ مذهب، وأيَّة طائفة، تنمَّي أن يواجهه الآخرون بالعقلانيَّة الإسلاميَّة، والدعوة إلى ما يأمرنا الله تعالى به من الاعتصام بحبل الله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ والنهي عن التفرقة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

٤ - الوعي السياسيِّ

إنَّ الحالة السياسيَّة والإعلاميَّة في العالم، والعلاقات السياسيَّة والاقتصاديَّة بين أنظمة الاستكبار العالميِّ، والأنظمة التابعة لها في العالم الإسلاميِّ، والعلاقة بين السياسة والإعلام... حالات معقَّدة شديدة التعقيد، ويدخل في تكوينها عوامل غير مرتبِّة كثيرة، وما يظهر على السطح من التصريحات والعلاقات لا يعبر عن كل شيء...

أذكر في المصالحة التي تمَّت بين زعيم لنظام عربيِّ ورئيس وزراء إسرائيل بالوساطة الأمريكيَّة... فتصافح زعيمان من الطرفين أمام أضواء الكاميرات في حضور الرئيس الأمريكيِّ فاجأ الرئيس الأمريكيِّ المسؤول العربيِّ بالسؤال التالي: منذ كم كانت لكم علاقة ولقاء في إسرائيل؟ فقال المسؤول العربيِّ الكبير مأخوذاً بهذه المفاجأة ممتعضاً من هذا الإحراج: منذ عشرين عاماً.

إنَّ هذا السؤال والجواب يكشف عن الاحتقار الأمريكيِّ لطائفة من زعماء الأنظمة العربيَّة الذين تحميمهم أمريكا نفسها، ويحمون

مصالحها، كما تكشف عن عمق الفساد السياسي في طائفة من الأنظمة العربيّة. منذ عشرين عاماً يتعامل مع إسرائيل، ويتعاطى معها، ويلتقي بقادتها في لندن وواشنطن.. ولا يعرف الناس على سطح الإعلام السياسيّ عنه إلا لغة الشجب والتهديد لإسرائيل..!!

إنّ هذه الأنظمة السياسيّة، بين الواقع والتصريحات التي يقدمونها للإعلام، تشبه الكتل الثلجيّة العائمة على مياه البحار، تسعة أعشار منها غاطسة في الماء لا ترى، وعُشُرُ منها فقط تظهر على سطح الماء... وهي بين واقعها الغاطس في مستنقع العلاقة بأنظمة الاستكبار العالميّ، والشطر الظاهر المسموع والمرئيّ منها في الإعلام، تشبه هذه الكتل الثلجيّة.. ومن أفذح الخطأ أن نتعامل مع هذه الأنظمة من خلال الإعلام المرئيّ والمسموع، ومن خلال الخطب والتصريحات السياسيّة التي يطلقونها بين حين وآخر.

إنّ لقاءاتنا السياسيّة، وخطابنا السياسيّ، يجب أن يمتلك خلفيّة غنيّة من الوعي السياسيّ، والإحاطة بالظروف السياسيّة المعقّدة، والمعرفة بالخلفيات السياسيّة التي تقع خلف المواقف والقرارات والتصريحات السياسيّة. ومن دون هذا الوعي السياسيّ، سوف يقع جمهورنا وساحتنا في تخبطٍ سياسيّ واسع... وعلى علماء المسلمين، وخطبائهم، ومثقفهم، والحركات الإسلاميّة، إشاعة الوعي السياسيّ ونشره، في الأوساط الإسلاميّة الشعيبيّة.

٥ - الحوار بالتي هي أحسن

قد ينقلب الحوار إلى جدالٍ عقيم، بل ينقلب إلى عائقٍ يعيق حركة الأمة، وحجاب يحجب المسلمين بعضهم عن بعض إذا كانت الغاية من الحوار والخطاب تعميق الفجوة بين المسلمين، وإنكار الطرف الآخر وإقصاءه، وقد يكون الحوار جسراً للتفاهم والتعاون والتلاقي في المساحات المشتركة السياسيّة والثقافيّة والاقتصاديّة لهذه الأمة، وذلك عندما يكون الحوار بالأسلوب الذي علمنا الله تعالى به (التي هي أحسن) وأقوم للعلاقة الحسنة والتفاهم بين المسلمين، يقول تعالى:

﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

ويقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢). ولا سبيل لدفع (نزغ الشيطان) في العلاقة بين أطراف هذه الأمة إلا أن يخاطب بعضنا بعضاً بأحسن ما نستطيع عليه من القول.

٦ - تحسين اللقاء والحوار

إنّ علينا أن نحصّن هذه اللقاءات والحوارات الإسلاميّة من نفوذ الأنظمة التي تقع تحت سلطان أنظمة الاستكبار العالميّ واختراقها، فإنّ هذه الأنظمة تملك من وسائل الإعلام والاستخبار ما يمكنها من اختراق هذه اللقاءات والحوارات، وإحباطها وإفسادها... ولكي نتمكن من تفعيل هذه اللقاءات واستثمارها، يجب علينا أن نحصّن هذه اللقاءات من نفوذ هذه الأنظمة واختراقاتها.

أحاديث أهل البيت (ع) في ضرورة اللقاء والحوار

كان أهل البيت (ع) يوجّهون شيعتهم وأتباعهم دائماً إلى اللقاء والاجتماع بأهل السنّة، والحضور معهم في جوامعهم، واجتماعاتهم، ومجالسهم، وندواتهم، وينهونهم عن الابتعاد عنهم، ويؤكدون لهم بضرورة التواجد في الساحة الإسلاميّة العامّة، وحضور الجمعات والجماعات، وتوحيد المواقف في الحجّ، ولم يردنا - ولا حديث واحد - عن انفراد أئمّة أهل البيت (ع) في موقف من مواقف الحجّ عن الموقف العامّ الذي كان يحدّده الحكام في تلك البرهة، لعامة المسلمين.

وقد تصدّى بعض المنحرفين عن أهل البيت (ع) للدرس في أحاديثهم (ع) لعزلهم وعزل شيعتهم عن الوسط الإسلاميّ الكبير.. وكانت هذه الأحاديث على أنحاء، منها أحاديث الغلوّ، ومنها أحاديث التحريف، ومنها أحاديث فيها تخليط في الفقه، ومنها أحاديث فيها انتقاص

١ | سورة النحل، الآية ١٢٥.

٢ | سورة الإسراء، الآية ٥٣.

وتسقيط لأهل البيت (ع)، ومنها أحاديث في الطعن واللعن على خصومهم.

وكانوا يعملون لإشاعة هذه الأحاديث عنهم (ع)، وقد روي عن الإمام الصادق (ع) في هذا المعنى: «إنا أهل بيت صادقون، لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدق كلامنا بكذبه»^(١).

وعنه (ع) أيضاً: «إن المغيرة بن سعيد دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا»^(٢).

وعن أبي الحسن الرضا (ع) في حديث إلى ابن أبي محمود: «يا بن أبي محمود، إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، جعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمطالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مطالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا»^(٣).

وقد كان أئمة أهل البيت (ع) يعملون لكسر هذا الطوق عنهم وعن شيعتهم بتكذيب هذه الأحاديث، وفضح الوضّاعين الذين كانوا يضعون عليهم من الحديث ما لم يتحدثوا به والتأكيد على رفض كل حديث يروى عنهم يخالف القرآن.

فكانوا يقولون: «فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا»، «فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن»^(٤).

وكانوا يطلبون من فقهاء شيعتهم، ورواة أحاديثهم، أن يتحرّروا الأحاديث الصادقة المروية عنهم (ع) ويحدّثوا ما وضعه النواصب، والمنحرفون عنهم، عليهم من الأحاديث المنتحلة، وكانوا يضعون لهم الأصول والقواعد العلاجية لمعرفة الأحاديث الصادقة من الأحاديث

١ | مستدرك الوسائل، مصدر سابق، الجزء ٩، الصفحة ٩٠.

٢ | بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٥٠.

٣ | المصدر نفسه، الجزء ٢٦، الصفحة ٢٣٩.

٤ | بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٥٠.

المتعارضة، والأحاديث الضعيفة، وكانوا يدعون شيعتهم للتعايش مع سائر الطوائف الإسلامية، والانفتاح عليهم، والتعاطي العلمي والثقافي معهم وحضور اجتماعاتهم وصلواتهم.

ولا يرضون لشيعتهم أن يعتزلوا الوسط الإسلامي العام، فهم جزء من هذه الأمة الكبيرة، واختلافهم عن أهل السنة في بعض الفروع والأصول، ومقاطعتهم للحكام الظلمة الذين كانوا يحكمون المسلمين في العصر الأموي والعباسي لم يكن يحمل معنى الاعتزال عن الساحة والانقطاع عنها.

وقد كان أئمة أهل البيت (ع) يعيشون معهم وفي أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون مجالس أئمة أهل البيت (ع)، ويأخذون منهم العلم، ولو أخصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمامين الباقر والصادق (ع)، لوجدناهم أمة كبيرة من أهل العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرتهم عامرة بفقهاء المسلمين، وحملة الحديث النبوي، وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد... وهذه الحالة يعرفها جيداً من يعرف حديث أئمة أهل البيت (ع) وسيرتهم، وهي تعبر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم لكل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية في الوقت الذي كان أهل البيت (ع) يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامة الخط الفكري الصحيح في الأصول والفروع بوضوح وصرامة وبشكل دقيق.

وفي أحاديث أهل البيت (ع) دعوة واضحة وصریحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين والتعايش الإيجابي، والتواصل، والتعاطف، والتعاون معهم، وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت (ع) في هذا الشأن:

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله (ع): «اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود، وحسن الجوار، فهذا جاء محمد (ص). وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، وأن رسول الله (ص) كان يأمر بأداء الخيطة

والمخيط. صلُّوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفريّ، فَيُسْرَنِي ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي (ع) إنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أدّاهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، وإليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان أنّه أدّانا للأمانة، وأصدقنا للحديث»^(١).

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق (ع): كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قال: فقال (ع) تؤدّون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»^(٢).

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له [الصادق (ع)]: كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال: «تنظرون إلى أئمّكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدّون الأمانة لهم»^(٣).

وفي رواية أخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق (ع) يقول: «عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدهم، وأحبّوا للناس ما تحبّون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقّه ولا يعرف حقّ جاره»^(٤).

وبسند صحيح عن مرازم قال: «قال أبو عبد الله الصادق (ع): عليكم

١ | الكافي، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٦٣٦.

٢ | المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٦٣٥.

٣ | المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٦٣٦.

٤ | المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٦٣٥.

بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، إنه لا بدّ لكم من الناس، أنّ أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض»^(١).

ثالثاً: العمل المشترك

النقطة الثالثة من مناهج مكافحة الطائفية هي العمل المشترك، سواءً كان العمل في المجال العملي والثقافي أم في مساحة العمل السياسي، أم في المساحة الاقتصادية.

والتجارب العديدة التي مارسها المسلمون في الآونة الأخيرة في المشاريع الاقتصادية والفقهية تؤكد هذا المعنى.

ونظراً للتحديات العظيمة التي يواجهها المسلمون اليوم لا بدّ من مواجهة هذه التحديات بالمشاريع الإسلامية السياسية، والاقتصادية، والثقافية، التي يشترك فيها عامة المسلمين من كل المذاهب والشرائع الإسلامية، فلم تعد المشاريع المحدودة التي تقوم بها طائفة من المسلمين كافية لمقابلة هذه التحديات، فإنّ التحديات التي تواجهنا في ساحتنا أكبر من أن نقابلها بمثل هذه المشاريع.

إنّ مشاريعنا السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية يجب أن تكون بحجم الأمة كلها.. عندئذ تكون يد الله مع هذه المشاريع، وعليها، إن شاء الله تعالى، وتكون قادرة على مقابلة التحديات القوية التي تواجهنا في ساحة عملنا.

وفيما يلي استعراض إحدى هذه التحديات.

جدلية الشرعية والواقع

أمامنا قضيتان متخالفتان ومتقاطعتان، في ساحة حياتنا ويجب علينا أن نتعامل معها بالضرورة، وليس بوسعنا التشكيك في أيّ منهما،

وليس بوسعنا الإعراض عن أيٍّ منها أو كليهما ومقابلته باللامبالاة.

القضية الأولى: وحدة الأمة الإسلامية، وليس بوسع أحد أن يشكَّ في هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾. وهذه حقيقة من حقائق الوحي.

ووحدة الأمة بوحدة ولائها وبراءتها، من غير شكٍّ ولا ترديد، وإذا تعددت الولاءات والبراءات تتعدّد الأمة، ولا تبقى الأمة واحدة، كما تخبرنا بها سورة الأنبياء والمؤمنون. ولا يمكن فصل القيادة السياسيّة والنظام والقرار السياسيّ عن مسألة الولاء.

كما لا يمكن فصل التقاطعات والصراعات السياسيّة والعسكريّة بين الأنظمة عن مسألة البراءة... والولاء والطاعة للقيادة السياسيّة الصالحة للأمة تأتي في امتداد الولاية لله ولرسوله ولأولي الأمر.. يقول تعالى: ﴿أَمِنُوا لَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

وجود ولاءات متعدّدة في عرض واحد داخل الأمة الواحدة تنقض وحدة الأمة فضلاً عمّا لو كانت هذه الولاءات متقاطعة ومتخالفة. أمّا الولاءات السياسيّة الطوليّة - التي يقع بعضها في امتداد بعض - فلا تنافي وحدة الأمة مهما تعدّدت وكثرت.

إذن لهذه الأمة، طبقاً لهاتين الآيتين الكريمتين من سورتي الأنبياء والمؤمنون قيادة واحدة صالحة.. وهذه هي الحالة الشرعيّة التي نطلبها في نظام الحكم والقيادة السياسيّة للعالم الإسلامي^(٢). هذه هي القضية الأولى: (الشرعيّة).

القضية الثانية: قيام أنظمة متعدّدة من الحكم في طول العالم الإسلاميّ وعرضها...

وهذه الأنظمة - في الأغلب - لا تمثّل الحالة الشرعيّة لأنّها غير صالحة، وغير مؤتمنة على دين الناس وديانهم، وغير منتخبة من قبل

١ | سورة النساء، الآية ٥٩.

٢ | إلا أن تتمّ شرعيّة القيادات والطاعات المتعدّدة بموجب العناوين الثانويّة.

الناس، وإنما تُفرض على الناس بآليات عسكرية، أو عبر وسائل أنظمة الاستكبار العالمي... وهذه الأنظمة تفرض طاعتها والالتزام بقراراتها على الناس بالنار والحديد والعنف.. والتغريب والتجهيل الإعلامي. ولا بدّ للناس من الالتزام بقرارات هذه الأنظمة: وهذا هو (الأمر الواقع) اللاشعري.

وبين هذا (الأمر الواقع) و(الشرعية) تقاطع شديد ولكلّ منهما ثقافة، وسياسة، وقوانين، وأنظمة، وآليات، وقوّة للتنفيذ. هذه هي الجدلية القائمة بين (الشرعية) و(الأمر الواقع).

فما هو تكليف المسلم تجاه هاتين القضيتين (الشرعية المحظورة) و(الواقع المفروض) اللاشعري. (فلا يجوز) الاستسلام للأمر الواقع المفروض، وإلغاء الحالة الشرعية، و(لا يمكن) تجاوز الأمر الواقع المفروض بالقوّة من قبل الأنظمة.. هذه هي الجدلية بين (ما لا يجوز) و(ما لا يمكن) وهي جدلية قديمة في التاريخ الإسلامي.

فما هو موقف الفقه الإسلامي تجاه هذه الجدلية الصعبة؟

منهج أهل البيت (ع) الفقهي

إنّ منهج أهل البيت (ع) الفقهي تجاه هذه الجدلية في الفترة الطويلة التي عاشوها في العصر الأموي والعباسي، تتلخّص في ثلاث نقاط:

١- النهي عن إسناد هذه الأنظمة ودعمها، وتحريم التعاون مع الظلمة، فلا يجوز للمسلم أن يقوم بأيّ عمل فيه إسناد ودعم لهذه الأنظمة غير الصالحة بأيّ شكل، ولو كان ذلك بإعداد ليقة دواة للحاكم الظالم.. وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (ع) بهذا المعنى^(١).

٢- الأمر بمعايشة الواقع السياسي الاجتماعي لأنّ الانفصال عنه بمعنى الخروج من ساحة الحياة والانتحار السياسي والاقتصادي.

١ | انظر: أبواب (حرمة التعاون مع الظلمة) في مباحث المكاسب المحرمة، وكتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، في وسائل الشيعة وسائر كتب الحديث والفقه.

ولا مناص للمسلمين من أن ينتظم أمر معاشهم ومعادهم ضمن هذا الواقع، ولا مناص لهم من أن يعايشوا هذا الواقع، لتستقيم لهم أمور معاشهم ودينهم.. حتى لو يتطلب الأمر أن ينضمّ المؤمنون إلى مواقع المسؤوليّة من هذه الأنظمة الفاسدة، ولكن لا لغاية إنعاشها ودعمها، وإنما لغاية تحقيق الضمان لمعيشة المؤمنين وخدمة الناس في معاشهم ومكاسبهم^(١).

فلا يستغني الناس عن المدارس والجامعات، وجهاز الشرطة، والمستشفيات، والمؤسّسات الخدميّة وغيرها، وكل هذه المؤسّسات مؤسّسات قائمة ضمن هذه الأنظمة الفاسدة... لا حيلة للناس عنها، فيجوز الدخول في هذه المؤسّسات لخدمة الناس، ويجوز الاستفادة من هذه المؤسّسات، ومن دون ذلك تتعطل حياة الناس، والله تعالى لا يريد تعطيل حياة الناس. وبين الأمر الأوّل (المحظور)، والأمر الثاني (السائغ) فرق واضح.

٣- العمل على تحويل هذا الواقع الفاسد إلى نظام صالح، وقيادة صالحة وقوانين وتشريعات صالحة. وهذه النقطة الأخيرة تختلف من مجتمع إلى آخر. فقد يتمّ ذلك عن طريق ثورة مسلحة، وقد يكون ذلك عن طريق الترحيل الثقافيّ والتبليغيّ للناس، وقد يكون بالوسائل الديمقراطيّة الحديثة، التي تمكّن الأكثرية الصالحة من الوصول إلى مواقع الحكم وتغيير الحكم إلى نظام صالح، وقيادة صالحة، بصورة سليمة، أو غير ذلك من الوسائل والآليات^(٢).

وهذه ثلاثة مشاريع عمل إسلاميّة سياسيّة، تتطلّب مشاركة عامّة من المسلمين، من كل المذاهب والفرق والشعوب الإسلاميّة التي تعاني من سلطة الحكومات الظالمة:

- ١- مقاطعة الأنظمة الفاسدة وتحريم دعمها وإسنادها، ووجوب عزل هذه الأنظمة عن الأمة والتشهير بها وتسقيطها.
- ٢- المشاركة الإيجابية في كلّ مسالك الحياة السياسيّة، والاقتصاديّة،

١ | انظر: الروايات الواردة في مستثبات التعاون مع الظلمة وأبواب التقيّة.

٢ | انظر: روايات باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبواب الجهاد.

والاجتماعيّة، والنفوذ إلى مواقع مختلفة من الحكم بهذه الذهنيّة، ولهذه الغاية.

٣- مشاريع أسلمة الأنظمة، وإقامة الدولة الإسلاميّة، على أسس شرعيّة، وترحيل الحالة السياسيّة إلى قيام حكومة عالميّة إسلاميّة صالحة، كما وعدنا الله تعالى في كتابه.. وهذا المشروع يختلف من بلد إلى بلد، ومن حالة سياسيّة إلى حالة أخرى، ولا يخضع لوصفة سياسيّة أو حركيّة واحدة.

المشروع السياسيّ الإسلاميّ

الأنظمة في العالم الإسلاميّ - في الغالب - غير صالحة، ولا يمكن الاعتماد عليها في تقرير الموقف الإسلاميّ من القضايا السياسيّة الكبرى في العالم الإسلاميّ.. ومن الواضح أنّ المواقف الرسميّة للأنظمة تجاه القضايا الكبرى تبقى خاضعة لتأثير الدول الكبرى، وليس بوسع هذه الأنظمة أن تتجاوز الخطوط الحمراء التي ترسمها دول الاستكبار العالميّ...

نعم، هناك مساحات صفراء يتحرّك عليها هؤلاء الحكّام.. وقد تكون هذه الحركة مخالفة لقرارات الدول الكبرى... أمّا الخطوط الحمراء، فليس بوسع هذه الأنظمة تجاوزها، مهما كان الأمر، واستخدام «النفط» مثلاً في قضايا الأمّة السياسيّة، والعكس حاصل فعلاً، فإنّ الدول الكبرى، ومجلس الأمن يستخدمان العامل الاقتصاديّ سلاحاً قاطعاً في قراراتها السياسيّة، وفي عقوبة الأنظمة التي تتجاوز الخطوط الحمراء، في حين لا يجرأ حُكامنا، أو لا يملكون في أكثر مناطق العالم الإسلاميّ، تجاوز الخطوط الحمراء، فيما يتعلّق بأنظمة الاستكبار العالميّ.

ومهما يكن السبب، فإنّ الساحة الإسلاميّة الواسعة، لا تمتلك اليوم مقوّمات القرار، والموقف السياسيّ الراشد الإسلاميّ، إلا ما يصدر بصورة عفويّة من مواقف وقرارات، يتبنّاه جمهور المسلمين في

مختلف أقاليم العالم الإسلامي، كما رأينا ذلك في التعاطف الشديد لمواقف المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان (حزب الله)، من جانب جماهير المسلمين في كل أقاليم العالم الإسلامي، وفي المهاجر الغربية.

ورغم أن الأنظمة العربية - في الغالب - كانت ممتعضة من انتصار المقاومة، وما سجّلتها من انتصارات باهرة خلال ٣٣ يوماً إلا أن تيار التضامن والتعاطف الإسلامي مع حزب الله كان أقوى من أن تعاكسها الأنظمة، وأدواتها الإعلامية المسخرة لخدمة مواقفها السياسية...

ومهما يكن من أمر فلا بدّ للساحة الإسلامية الكبرى من أدوات نابعة من إرادة الأمة، ومن عمق الساحة لتنضيج القرار السياسي الذي يهّم الأمة - كلها - ولتوحيد الرأي، والموقف السياسي في القضايا الكبرى، وتعميمها على كل الساحة الإسلامية، وتحشيد الرأي العام الإسلامي لإسناده، والوقوف إلى جانبه، وتفعيله في الساحة من خلال المسيرات، والاحتجاجات، والتهافتات، والإعلاميات، والآليات المشاعة التي يمتلكها الشارع، للتعبير عن موقفه، ورأيه، واعتراضه، واحتجاجه، وحبّه، وبغضه.

ومن دون وجود مثل هذا المشروع السياسي ينضج الرأي السياسي الراشد الموحد، تبقى الساحة معرضة لأموج الفتن السياسية، وضغوط وسائل الإعلام الرسمية التي تجعل من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً، وتقرب البعيد، وتبعد القريب. وتبقى الساحة الإسلامية تتخبط بين اختلاف الآراء والمواقف، والفتن، والضغوط الإعلامية.

ولكي تسلم الساحة الإسلامية الكبرى من هذا التخبط، لا بدّ من مشروع سياسي إسلامي كبير، خارج حوزة نفوذ هذه الأنظمة، تمارس المسؤولية في تنضيج القرار، والموقف الإسلامي، وتوحيده، وتعميقه، وتفعيله في الساحة.

ولا بدّ أن يمثل هذا المشروع السياسي كلّ الشرائح والمذاهب والأقاليم الإسلامية تمثيلاً صادقاً حقيقياً، ليكون لرأي هذا التجمع الإسلامي، النفوذ والتأثير الفعلي على كل الساحة الإسلامية. ويكون هذا

التجمّع مركزاً لتنضيج القرار الإسلاميّ الراشد الذي تتبناه الساحة الإسلاميّة كلّها، في المسائل الأمّ الكبرى في العالم الإسلاميّ، مثل قضية القدس والمسجد الأقصى، والقضيّة الفلسطينيّة، والاحتلال الإسرائيليّ لأجزاء واسعة من أراضي الوطن الإسلاميّ من سوريا ومصر والأردن ولبنان؛ ومثل المشكلة الصوماليّة، وتدخّل القوى متعدّدة الجنسيّات في دارفور؛ والمشروع الإيرانيّ النوويّ السلميّ؛ والاحتلال الأمريكيّ لأفغانستان والعراق؛ والموقف الأمريكيّ المعادي للقضيّة الفلسطينيّة، والداعم لإسرائيل؛ والموقف الروسيّ المتعنّت من الولايات الإسلاميّة كالشيشان، وقضيّة الصحراء المغربيّة وأمثال ذلك، واضطهاد بعض الأنظمة في العالم الإسلاميّ لأبناء الحركة.

وقد يتساءل أحد عن الصيغة العمليّة لهذا المشروع السياسيّ... فأقول: إنني لست بصدد عرض صيغة محدّدة لهذا المشروع السياسيّ... وأياً ما تكون الصيغة العمليّة لهذا المشروع، فهو مركز سياسيّ، يمثل الأمة الإسلاميّة، بعرضها العريض، في تنضيج القرارات، والتوصيات السياسيّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة، وغيرها، وبلورتها وتقديمها، في الأمور التي تهّم الأمة، ويكون هذا المركز في مقابل مراكز القرار الرسميّة للأنظمة، يعبر عن إرادة الناس وانتمائهم، وهويّتهم الإسلاميّة... وهو أمر قائم فعلاً في بعض الحدود، في المؤتمرات التي تقيمها الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران بحضور النخب الصالحة من العالم الإسلاميّ. وتقوم طهران فعلاً بفضل الجمهوريّة الإسلاميّة باحتضان طائفة واسعة من هذه النشاطات. إلا أنّ الحاجة أوسع من ذلك ويحتاج هذا الأمر إلى تثبيت، وتطوير، وتوسعة، وتعديل، وتقنين، وتبني من قبل جمهور المسلمين.

المرجعيّة السياسيّة للعالم الإسلاميّ

نحن اليوم أمة فاعلة قويّة على وجه الأرض؛ ولهذه الأمة ثقل كبير في المعادلات السياسيّة، وحضور واسع في القضايا السياسيّة ذات الشأن بالحالة الإسلاميّة خصوصاً، وبالحالة الكونيّة عموماً.

ورغم أن أكثر الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي تعمل لتشتيت هذه القوة الكبرى على وجه الأرض، لكن تبقى الأمة الإسلامية التحدي الأكبر للغرب؛ والذين يقرأون التاريخ والمستقبل من المنظرين في الغرب يفهمون هذه الحقيقة، وينذرون أنظمة الاستكبار الغربي من هذا العملاق الذي بدأ يستيقظ من سباته في القرن العشرين.

وفي ضوء هذا الفهم نقول:

- ١- إن الحقائق المتقدمة في نهضة الأمة بعرضها العريض لا يمكن أن تخفى على مراكز الرصد الاستكباري في الغرب.
- ٢- ولا بد أن تلقى هذه الأمة تحديات صعبة من ناحية الغرب لإحباط المشروع الإسلامي الكوني الكبير.
- ٣- ولا تخص هذه التحديات إقليمًا، أو قومًا ومذهبًا من المذاهب، وإنما تعم الأمة الإسلامية برمتها، لأن هذه الأمة هي التربة الصالحة للمشروع الكوني الذي يخبرنا به الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ والذي يتبأ به المنظرون في الغرب.
- ٤- إذن المسلمون جميعًا في مواجهة صراع حضاري، وعسكري، وسياسي، وثقافي قاس، من أقسى ما يعرفه تاريخ الإنسان من الصراعات الحضارية السياسية، والعسكرية، شئنا ذلك أم أبينا. والمطالبة بالمعايشة السلمية، وشجب الحروب والصراعات، لا يعفينا من هذه المعركة.. ولسنا نحن الذين ندفع الغرب إلى مثل هذا الصراع، وإنما العكس هو الصحيح، فالغرب هو الذي يدفعنا إلى مثل هذه المعركة... فالكيانات السياسية، والعسكرية، والثقافية في الغرب، يرون أنهم قد وصلوا إلى نهايات التاريخ، والعاقبة التي آل إليها أمر الاتحاد السوفياتي ليس ببعيد عنهم، والقوانين والسنن التي آلت إلى سقوط الاتحاد السوفياتي هي التي تؤول بهم إلى تلك العاقبة؛ وهم يدافعون عن أنفسهم في معركة مصيرية بالنسبة لحضارتهم، وكيانهم الاقتصادي، والسياسي، والعسكري، ومن الطبيعي أن يكون هذا الصراع أشرس صراع

يعرفه الإنسان، لأنه صراع على الموت والحياة.

٥- ومن أفذح الخطأ أن ندخل هذا الصراع من غير الإعداد المكافئ لهذه المعركة الحضاريّة، ومن غير الإعداد لآليات هذا الصراع.. والدخول في مثل هذه المعركة من غير الإعداد المكافئ لها يعادل الفشل والهزيمة فيها... يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) وليست القوّة كلّها في السلاح، وإن كان السلاح من مقوّمات ساحة القتال، إلا أنّ دائرة الإعداد الذي يأمرنا به الله تعالى أوسع من السلاح.

٦- ومن أهمّ الآليات التي تُعدّ هذه الأمة لدخول مثل هذه المعركة التي نتوقعها كل حين، بل نعيشها اليوم، دون أن ننتبه لها.. في مقدّمة هذه الآليات: «المرجعيّة السياسيّة الواحدة للأمة الإسلاميّة»... فليس من الممكن أن تدخل هذه الأمة صراعاً سياسياً، وحضارياً واسعاً، وتواجه تحديات كثيرة، دون أن تمتلك الأمة مرجعية سياسيّة، توحد قرارها، وموقعها، وصفها. إنّ وحدة الأمة، ووحدة القرار السياسيّ، لا تتحقّق إلا من خلال الآليات التي أعدها الله تعالى لذلك، وفي مقدّمة هذه الآليات المرجعيّة السياسيّة التي يسمّيها الفقهاء بولاية الأمر؛ يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

٧- و(الموقع الأوّل) و(الموقع الثّاني) الذين تحدّثنا عنهما مؤسّستان إسلاميّتان للأمة الإسلاميّة كلّها تتكاملان، تؤدّي الأولى دور الشورى وتنضيج القرار السياسيّ الذي تشير إليه آية الشورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(٢) وتقوم الثانية بدور (الولاية السياسيّة) في حياة المسلمين.. تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣).

١ | ٧٢ سورة الأنفال، الآية ٦٠.
٢ | سورة الشورى، الآية ٣٨.
٣ | سورة المائدة، الآية ٥٥.

في المساحة الاقتصادية

إنَّ عملاً واسعاً يجري اليوم لإحراق أسواق العالم الإسلامي، ومصادر ثرواته الطبيعيّة بشبكة العولمة الاقتصادية، وهو أمر حاصل بالفعل في بعض الحدود، ولكنَّ الحركة التي تقوم بها الأنظمة في العالم الإسلامي هي إحراق أسواقنا في العالم الإسلامي وثرواتنا الطبيعيّة بشبكة العولمة الاقتصادية بشكل كامل.. وهذا الأمر إذا تمَّ يجعل من حركتنا الاقتصادية حركة تابعة لاقتصاد الدول الصناعية الكبرى، وتجعل من أسواقنا معرضاً ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه المصانع في الدول الصناعية الكبرى، وتجعل مصادرنا الطبيعيّة للثروة مثل النفط، والكبريت، والصلب، والحديد، والقطن، وقصب السكر، والمطاط، والتمور، مصدراً لتموين المعامل والمصانع في الغرب.

ونتحولّ من موقع الإنتاج والاكتفاء الاقتصاديّ إلى مركز لتموين المصانع في الدول الصناعية الكبرى بالموادّ الخام التي تحتاجها هذه المصانع، وموضِعاً لاستهلاك ما تنتجه هذه المعامل. وهذه العاقبة، أسوأ عاقبة اقتصادية للعالم الإسلامي، وتؤدّي هذه التبعية الاقتصادية إلى تبعيّة سياسيّة خالصة، وانهيارات اقتصادية واسعة كما حصل لجنوب شرق آسيا قبل سنين، وتفقدنا حالة الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد، بشكل كامل.

وكما يستخدم الغرب الآلة الصناعية والاقتصادية في تحقيق التبعية السياسيّة في العالم الإسلامي، بشكل واسع، كذلك يستخدم الغرب المقاطعة الاقتصادية والحظر الاقتصاديّ لإخضاع أنظمة العالم الإسلامي لإرادتها السياسيّة، كما حصل ذلك لإيران وليبيا وسوريا والسودان... عندما امتنعت من تنفيذ إرادتها. وقد كان بوسع العالم الإسلامي أن يستخدم الآلة الاقتصادية، مثل تصدير النفط في تعديل بعض المواقف الغربيّة المتطرّفة عمومًا، والأمريكيّة خصوصًا، تجاه العالم الإسلامي، مثل الجنوح المتطرّف إلى جانب إسرائيل، والوقوف إلى جانب إسرائيل في كل مراحل عدوانها على فلسطين ولبنان؛ والتشديد على إيران بسبب محاولاتها لتخصيب اليورانيوم، والوصول

إلى مرحلة استخدام الطاقة النوويّة لإنتاج الكهرباء وسائر الغايات السلميّة، والسكوت عن إسرائيل ومفاعلاتها النوويّة وترساناتها التي تحتزن أكثر من ٢٠٠ رأساً نووياً جاهزاً للتفجير والعدوان، كما يقول بعض المؤسّسات العسكريّة.

ولو أنّ المسلمين كانوا يستخدمون الآلة الاقتصاديّة في تعديل المواقف السياسيّة الغربيّة المتطرّفة تجاه العالم الإسلاميّ لتغيّر وجه العلاقات الإسلاميّة - الغربيّة، ولم يتمكّن الغرب من أن يمارس هذا النفوذ الواسع في العالم الإسلاميّ، ولم يسعّ الغرب أن يستهتر بهذه الصورة بكل القيم الدبلوماسيّة، والسياسيّة، في علاقاتها بالعالم الإسلاميّ.

ولكن ما الحيلة إذا كان حكام العالم الإسلاميّ في الغالب لا يجروؤون على تحدّي الإرادة السياسيّة الغربيّة، وبشكل خاصّ الإرادة السياسيّة الأمريكيّة، ولا يمتلكون الشجاعة الكافية لاتخاذ أيّ قرار سياسيّ أو اقتصاديّ يعارض مصالح أنظمة الاستكبار العالميّ، ويتجاوز الخطوط الحمراء المرسومة لهم؟!

إنّ حركة غاضبة عفويّة قامت بها جماهيرنا في مقاطعة البضائع الدنماركيّة، عندما أساءت صحيفة دانمركيّة إلى رسول الله (ص)، وامتنعت الدانمارك من الاعتذار إلى المسلمين ومعاقبة الصحيفة، كان لها تأثير كبير في تعديل موقف الحكومة الدانمركيّة والحكومات الاسكندنافية، التي وقفت إلى جانب الدانمارك في حينه.

إنّ الموقف الصحيح في هذه المسألة الخطيرة هو الحضور المليونيّ الموحد في الساحة، والهتاف بمقاطعه العولمة الاقتصاديّة الزاحفة إلى العالم الإسلاميّ، والمطالبة باستخدام الآلة الاقتصاديّة في قضايانا السياسيّة الأمّ، والمناداة بتحرير أسواقنا من سيطرة البضاعة التي تصدرها إلينا الدول الصناعيّة الكبرى؛ والدعوة إلى تحرير مصادرها الطبيعيّة للثروة وإنتاجنا الزراعيّ والحيوانيّ من نفوذ الدول الكبرى، والمناداة بالوصول إلى حالة الاكتفاء الذاتي، والتشهير بالأنظمة والحكام الذين يستخدمون مواقعهم في الحكم لتمكين

النفوذ الاقتصاديّ الغربيّ والشرقيّ الاستكباريّ من أسواقنا ومصادرنا الطبيعيّة، ودعوة الجمهور إلى استخدام المقاطعة الاقتصاديّة عندما يتطلّب الأمر، ويتقاعس الحكّام، ويجبنون عن اتخاذ القرار الاقتصاديّ المناسب.

إنّ الحضور الواعي القويّ للأمة في الساحة الإسلاميّة، في كلّ المراكز والحواضر والعواصم الإسلاميّة يؤدّي بالضرورة إلى تعديل قرار كثير من الأنظمة، والحكّام الذين يحكمون العالم الإسلاميّ، كما يؤدّي إلى تعديل القرارات الاقتصاديّة والسياسيّة لدول الاستكبار العالميّ تجاه العالم الإسلاميّ، وتخفيف الضغوط السياسيّة والاقتصاديّة عليه.



سلسلة أدبيات النهوض

- العبادة والعبودية في الرؤية والسلوك عند الإمام الخميني ♦ حسن يحيى بدران
- عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلامية ♦ علي مهدي زيتون
- الشعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض ♦ شفيق جرادي
- على ضفاف الفرات ♦ إبراهيم أمين السيد
- مجتمع المقاومة ♦ نعيم قاسم
- الشيخ عبد الحميد بن باديس ♦ إلياس جوادى
- الثورة الإسلامية في إيران: ظروف النشأة والقيم القيادية ♦ منوشهر محمدي
- الخطاب عند السيد حسن نصر الله ♦ أحمد ماجد
- الحداثة والمقاومة ♦ طه عبد الرحمن
- الإمام ونهج الاقتدار ♦ شفيق جرادي
- قيم النهوض: الحرية العدالة الاستقلال الوطني ♦ مرتضى مطهري
- النهوض الحضاري في فكر الإمام موسى الصدر ♦ غسان فوزي طه
- القدس في الوعي المقاوم ♦ بلال حسن التلّ
- مباني إنتاج الآخر في العقل الإسرائيلي ♦ حسين سلامة
- الدولة والمقاومة في ظلّ الأوضاع الدوليّة الراهنة ♦ مجموعة من الباحثين
- المقاومة: جدلية الحقّ والقوّة ♦ مجموعة من الباحثين
- الشورى ونظم الأمر ♦ علي يوسف
- الحرب على غرّة ♦ مجموعة من الباحثين
- المرجعية الدينية والمقاومة ♦ عبد الساتر الموسوي
- إشكالية الوعي والذاكرة العربية ♦ بيان نويهيض الحوت
- الرؤية العلمية لدى الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ عبد الله زيعور

- الفقه السياسي في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- السيادة الشعبية الدينية ♦ مجموعة من الباحثين
- الحاكمية: دراسة في المفهوم وتشكله ♦ أحمد ماجد
- صناعة الأمة الإسلامية: الإمام الخامنئي (حفظه الله) وقيادة المشروع الإسلامي الاستنهاضي ♦ عباس نور الدين
- حقوق الإنسان من وجهة نظر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ منوچهر محمدي
- الفكر السياسي عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- المسلمون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية ♦ علي يوسف
- القدس: الموقعية والتاريخ ♦ مجموعة من الباحثين
- المرأة في فكر الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ مجموعة من الباحثين
- عاشوراء: الحدث والمعنى ♦ محمد مهدي الأصفى
- السيادة الشعبية الدينية: إشكالية المفهوم ♦ مجموعة من الباحثين
- السيادة الشعبية الدينية: معالجات في التطبيق ♦ مجموعة من الباحثين
- الهواجس الثقافية عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ إعداد مركزها
- أساس الحكم في الإسلام ♦ محسن الأراكي
- الإسلام وتهمة الإرهاب ♦ علي يوسف
- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ♦ محمد باقر الصدر
- وعي المقاومة وقيمها ♦ شفيق جرادي
- سنن القيادة الإلهية في التاريخ ♦ محسن الأراكي
- روح التوحيد (رفض عبودية غير الله) ♦ الإمام الخامنئي
- دور القرآن في بناء نهضة الأمة ووحدها ♦ مجموعة من الباحثين
- نهضة الذات ♦ محمد مهدي الأصفى
- الإيمان ومستلزماته ♦ الإمام الخامنئي
- الإسلام في مواجهة التكفيرية ♦ شفيق جرادي
- التوحيد وأثاره ♦ الإمام الخامنئي
- دراسات في الدولة والسلطة ♦ محمد طي
- النبوة وضرورتها ♦ الإمام الخامنئي
- أخلاقيات العلم عند الإمام الخامنئي (حفظه الله) ♦ عبد الله زيعور
- الولاية وأبعادها ♦ الإمام الخامنئي
- يوم الفداء مقارنة اجتماعية - تاريخية لإحياء شعيرة عاشوراء في لبنان

● الصحوة الإسلامية ♦ محسن الأراكي

● الشاي الأخير ♦ مريم ميرزاده

● الأمن القومي الإسرائيلي بعد العام 2006 ♦ بلال اللقيس

● الأمة الواحدة في رحاب البيت الحرام ♦ محمد مهدي الأصفي

